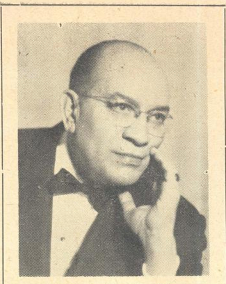
الشاعر الثائر

•

في ذكرى الشاعر الثائر

الدكتور احمد زكي ابو شادي



الدكتور احمد زكي ابو شادي

رحل الاحبة عن حماك وبانوا ... فابك الزمان ، فلن يعود زمان
ناديت قلبي يوم بدد شملنا : ... يا قلب جفا النبع والبستان !
ومضى المغرد والجراح تؤوده ... واستسلمت لخريفها الافنان
وتساقطت اوراقنا ، وتقصفت ... اغصاننا ، وتناعب الغربان
ومشى على ألق الخميلة عاصف ... جزعت له الاطيار والاغصان
كانت جنان ازاهر فتانة ... لم يغف عن تنسيقها الجنان
ناجت بها الفجر الوسيم بلابل.. ... اين البلابل رحن والالحان ؟
لهفي على الماضي الجميل تباعدت ... ذكراته . لا رامها النسيان !

وموسد في الغرب بعد تألق ... في الشرق، تطوي الكوكب الاكفان
لم يرض عيش الضيم في اوطانه ... فتلقفته تعزه اوطان
والحر ان جارت عليه بلاده ... ضاقت امام خياله الاكوان
عابوه حين نأى ، وقالوا هارب ، ... وبقاؤهم ذل لهم وهوان
كم قدسوا عهد الفساد ومجدوا ... راس الضلال ، والهوه وهانوا !
وابى عليه اباؤه ان ينضوي ... تحت اللواء : الفكر والوجدان
والشاعر الحر الابي مملك ... يأبى عليه الذلة السلطان
والضعف موت للنفوس،ولن يرى ... اهلا لانفاس الحياة جبان
هذا الموسد امة منسية ... امجاده لم يحصها حسبان
الشاعر الانسان في اقواله ... وفعاله ، والعالم الفنان

سبق الزمان بفكره حتى انطوى   في فكره الاكوان والازمان
كالنحل عاش... لغيره ما اشتاره   من شهده ، وبكأسه الاحزان
مترفـع حتى عـلى آلامـه   كالطود هابت بأسه الوديان
اغنى الذين عرفتهم بشموخه   لا يزدهيه الاصفر الرنان
يسمو على نسب الحياة وجاهها   زهدا ، ويصقل روحه الحرمان
كانت رسالته العطاء مبرءا   لله لا من ولا احسان
وارى نفوس الاكثرين شعارها :   لي ما اخذت وبعدي الطوفان !

يا ساكنا بعد الحراك ، وهامدا   بعد الكفاح . ايهدأ البركان !؟
ويقر من هز الطغاة لسانه   ويظل ينعم في النفاق لسان !؟
كانت حياتك ثورة لا ينتهي   فورانها ، او يسكن الثوران
في عالم الشعر المشيب شببتها   فنأى الشيوخ وآمن الشبان
أحييت سوق عكاظ حين اقمتها   علما تحج لضوئه الركبان
لك في حياة الشاعرين اذا نسوا   فضل يقل ازاءه الشكران
ومشيت تحمل مشعلا متأججا   تهوي على جنباته الاوثان
في كل ناحية شققت مشارعا   يهفو اليه الوارد الظمآن
ورفعت الوية مذاهبها بدت   شتى ووحد بينها عرفان
في عالم الادب الصميم وعالم الـ   طب الرحيم تجاوب وأمان
في عالم النحل الوديع وعالم الـ   فن الرفيع تآلف وحنان
ذهن تبارك من جلاه امامنا   لغزا تحار بكنهه الاذهان !

يا راقدا خلف المحيط معانقا   قيثارة لم يؤذها العدوان
حاربت رأس الظلم في جبروته   في حين صلى خلفه البهتان
حر العقيدة لا تهاب ومؤمنا   بالحق لا يتزعزع الايمان
وصببت نقدك لا تبالي غضبة   في حين كان يكال الاستحسان
يتهافتون على رضاه وحسبهم   فخرا لهم ان ينعم الشيطان
سهران في الماخور يجرع كاسه   ويقال هذا الصالح السهران
ووصفته بالكركدن مقامرا   بالعرش . قوتل ذلك الحيوان!
لما يئست من النجاة وزمجر الـ   موج الغضوب ، ونودي الربان
واحيط بالاحرار ضقت بعيشة   ضاقت على انفاسها القضبان
ان قيل : اين النور ؟ داعب قيده   مترنما بصليله السجان
فحملت فوق الموج قلبا خافقا   مزجت به الامال والاسجان
وحملت صبيتك الثلاثة رادة   لم يعلموا ما تخبأ الشطآن
وشريت بالمنفى حياة حرة   لن يستطيع بلوغها الطغيان
كافحت فيها للحياة بعزة   ما مسها وهن ولا خذلان
نسيتك مصر وانت في شيخوخة   يحتاج فيها الراحة التعبان
ضنت عليك اذ استرحت بتربها   عجبا أيحرم تربه الجثمان !
هل ينصف الاحرار شاعر ثورة   غنى فأصغت للصدى الآذان ؟

أأخي، وصفوة من عرفت، وذاكري   ان عقني في المحنة الاخوان
ان يعصني حزني عليك، فلا ادعت   نفسي الوفاء ، ولا انا انسان
هذا رثائي فيك ، كنت اوده   لو صيغ فرحة عودة تزدان
ذهب الردى بالامنيات ، فلم يعد   الا الاسى يتجرع الثكلان
الركب اسرع في المسير، ولم يزل   هذا الحزين الآسف اللهفان ...

القاهرة

حسن كامل الصيرفى

بحث في اصول علوم اللغة

بقلم الدكتور محمد كامل حسين

يتحدث الناس كثيرا عن ما يلقاه المتأدبون المعاصرون من ارهاق حين يريدون ان يتفقهوا في اللغة العربية وان يتعمقوا في اساليبها . والذين يعنون بثقافتهم يزعجهم ان يكون علمهم بلغتهم ناقصا . فالعلم باللغة علما دقيقا اول مراتب الثقافة . ولا يعنينا كثيرا ان نستجيب الى الداعين الى التبسيط والتيسير اذا كان مصدر الدعوة قصور الجهد .

ولا نستطيع ان نترك الحبل على الغارب للكتاب يفعلون باللغة ما يشاؤون فالبساطة ليست غاية تراد لذاتها وليست اللغة السهلة المهلهلة اداة صالحة للفكر المنظم الدقيق .

وانما يعنينا ان تكون لغتنا دقيقة في غير تعقيد ، واضحة في غير ابتذال . وان تكون متفقة واساليب التفكير الحديث التي نشأنا عليها . ونحن لا نخشى الصعوبة اذا كان من آثارها دقة الاداء وحسن التعبير واتساع التصورات التي تدل عليها الاساليب المختلفة . اما ان تكون الصعوبة تعقيدا لا يزيد شيئا في دلالة اللغة فهذا ما لا يرضى عنه المحدثون . واللغة اول ما يتعلمه الانسان . واول مرانة على التفكير المنظم واسلوب البحث فيها يؤثر في عقلية الناشئين تأثيرا لا يزول .

وعندي ان اللغة العربية ليست من الصعوبة بحيث يتصورها المحدثون . فهي لغة ككل اللغات سلسة طيعة لمن راض نفسه على درسها . وانما جاءت الصعوبة كلها من علوم اللغة ، واللغة شيء وعلوم اللغة شيء آخر . والمحافظة على اللغة لا تستوجب حتما المحافظة على علومها كما جاء بها الاولون . اولئك كان لهم اسلوب في التفكير . واصول في استنباط العلوم تختلف اختلافا تاما عن اصول العلوم الحديثة . ولو رغبنا ان نتفهم هذه العلوم ما اعجزتنا صعوبتها ، ولكن يعجزنا عن اتقانها انها ابعد ما تكون عن تفكيرنا(١) .

والواقع ان امهات كتب العربية عليها طابع العلوم في القرون الوسطى واضحا جليا . والتشابه كبير جدا بينها وبين كتب الطب والكيمياء والفلك المعاصرة لها . ونحن حين نقول ان كتاب سيبويه يقابل كتب ارسطو في الطبيعيات ، وكتب جالينوس في الطب من حيث انها فتح جديد في العلوم ومن حيث انها اسلوب مبتكر في التفكير ومن حيث هي نظام عقلي كامل . وحين نقول ان كتابا كالخصائص لابن جني يقابل كتاب القانون لابن سينا ، وكتاب بطليموس في الفلك من حيث انها غاية ما يمكن ان يصل اليه هذا النوع من التفكير العلمي ، حين نقول ذلك نكون قد وضعنا علماء العربية في اعلى مقام بين المفكرين .

على ان ذلك لا يمنعنا من القول بأن كتاب سيبويه عطل تقدم اللغة العربية كما عطل ارسطو علم الطبيعيات وكما عطل جالينوس وابن سينا الطب وكما عطل بطليموس تقدم علم الفلك . وكان سبب التعطيل في كل تلك الحالات واحدا . انها كتب كاملة تامة وجدت حلا لكل مشكلة ونظاما لكل شيء وشرحا لكل غامض ولم يفتها شيء من معقدات هذه العلوم فكان رضى الناس عنها وكان اعجابهم بأهلها وعدم الرغبة في الخروج على نظمها .

واعجابي بالخليل وسيبويه لا يقل عن اعجابي بجالينوس وابن سينا . ولكني لا أبيح لنفسي ان اطبب الناس بعلم ابن سينا وكذلك ارى انه لا يجوز لنا ان نتعلم العربية على سيبويه . وانما ندرس ذلك العلم القديم على انه طور من اطوار التاريخ وصورة من صور التفكير في العصور السالفة دون ان نحاول التمسك به .

ولن نستطيع ان نحل مشكلة الثقافة اللغوية عندنا بالتبسيط والتسهيل(٢) . فهي اعمق من ذلك كثيرا . واصل المشكلة انه لا بد لنا من التحول من علوم قديمة وتفكير قديم الى علم حديث . بهذا وحده تزول الفرقة بين تفكيرنا ولغتنا وهي الفرقة التي لن تكون لنا نهضة فكرية ما دامت قائمة .

والطب الحديث لم يقم على تبسيط نظريات الطب القديمة في الاخلاط والامزجة ولا بحذف ما لا يروقنا من وسائله في العلاج . وانما تقدم الطب حين طرح الناس ذلك كله جانبا وبدأوا عملهم من جديد . ولم يتقدم علم الفلك بتبسيط نظرية الدوائر او حذف بعضها وانما تقدم علم الفلك حين نبذ الناس هذه النظريات ليبدأوا علما جديدا . وكذلك علوم اللغة لن تصبح مقبولة عندنا بالحذف او التبسيط انما يكون ذلك بالبحث من جديد في المادة اللغوية وتحليلها تحليلا جديدا .

والواقع ان المحدثين يقفون من علوم اللغة احد مواقف

---

(١) ليست اللغة العربية اللغة الوحيدة التي مرت بهذا الطور في تاريخ نموها . واكثر اللغات عرفت عهدا كان فيه النحويون يتحكمون فيها تحكما شديدا . واللغات الكبرى تخلصت من هذا التحكم وابقينا نحن عليه . وفي القرون الوسطى وجدت طائفة من العلماء بالنحو في اللغة اللاتينية اسرفوا في التاويل والتخريج حتى خرجوا عن المعقول . وتهكم عليهم ارازموس في كتابه (مدح الجنون) وذكر امثلة من تخريجاتهم العجيبة كما تهكم الجاحظ على النحاة وقواعدهم .

(٢) ظهر عدد كبير من الكتب المبسطة في اللغة وقواعدها واكثرها للطلاب والمبتدئين وهي مما لا يقنع به كاتب او اديب . واذا اراد احدنا ان يتعمق في علوم لغته لم يجد بين هذه الكتب وبين ابن عقيل شيئا فيه غناء .

ثلاثة . فهم اما ان يجهلوها تماما وهو نقص كبير . واما ان يعرفوا منها القدر الذي يتندرون به ويسخرون منه وهو عيب ، واما ان يتعلموها حق العلم وهو عندي شر المواقف الثلاثة واشدها خطرا الا ان يكون درسها على انها تاريخ قديم كما تدرس الديانات القديمة . اما درسها على انها علوم حية فهو ما لا نقره وذلك ان عقلية العلوم التي نشأت في القرون الوسطى عقلية لها اصل في طبيعة الناس وخاصة في شبابهم ومن الخطر على تفكير الشباب ان ننمي فيهم هذه العقلية في الوقت الذي يكونون فيه اكثر استعدادا لها . ذلك يحجب عنهم عقلية العلوم الحديثة التي تنكر هذه الاصول القديمة انكارا تاما مهما يكن فيها من حقائق ومشاهدات رائعة . فالطب القديم والفلك والكيمياء فيها علم غزير ولكن مجموعة هذه العلوم لا تتفق في قليل او كثير مع العلم الحديث.

قد يقال وما يغضبكم من هذه العلوم وهي منطقية تماما . وفي المرانة عليها ما يفتق الذهن ويقوي ملكة البحث العميق . وهذه عندنا كلها عيوب . فالكيمياء القديمة كانت منطقية تماما . وهي مع ذلك كلها خطأ . الم يقولوا ان الفضة الباردة يابسة في الخارج حارة رطبة في الداخل . وان الذهب حار رطب في الخارج بارد يابس في الداخل . فاذا ابطنت برودة الفضة ويبسها واخرجت حرارتها ورطوبتها صارت ذهبا . منطق مستقيم ولكنه لا يمت الى الواقع بسبب . ومن منطقهم ان الزئبق مادة فيها روح فاذا سخنت أبق ت روحها فاصبحت رمادا ميتا . وقالوا مثل ذلك في تعليل الامراض ونشأتها من الاخلاط وكل العلوم القديمة منطقية ولو لم تكن كذلك ما قبلها اهلها . والعيب فيها ان منطقها يقوم على فروض لا اصل لها . فاذا فرضت ان الاشياء لا تكون الا حارة او باردة ورطبة او يابسة فكل ما نبنيه على ذلك يكون منطقيا ويكون مع ذلك او من جراء ذلك خطأ . كذلك فروض علماء اللغة تجعل اللغة منطقية ولكنها لا تكون بذلك صحيحة . فمن فروضهم ان بعض الحركات اقوى من بعض وفي الخصائص فصل عن هجوم الحركات على الحركات وتراه يقول ان الراء اقوى من اللام والتاء والطاء اقوى من الدال ولذلك وردت كلمة وتد ووطد ولم ترد كلمة ودت وان بعض الحروف اشد من بعض . وان هناك ضمائر اخص من غيرها . وان الاسم اخف من الفعل وفي موضع اخر يقول وان كانت مرتبة الاسم في النفس من حصة القوة والضعف ان يكون الاسم قبل الفعل والفعل قبل الحرف ولعلكم تعرفون كيف نصب جمع المؤنث السالم بالكسر ذلك حملا للفرع على الاصل . فالمذكر السالم رفع بالواو والنون وجر بالياء والنون ولم يكن للنصب علامة فحمل على الجر . وكذلك المؤنث السالم رفع بالضمة وجر بالكسرة ولم يكن للنصب علامة فحمل على الكسرة وهي علامة الجر . تعليل جميل ولكنه بالطبع لا اصل له البتة .

ولعلكم سمعتم ما يقول ابن جني في الخصائص (هذا عادة للعرب مألوفة وسنة مسلوكة . اذا اعطوا شيئا من شيء حكما ما قابلوا ذلك بأن يعطوا المأخوذ منه حكما من احكام صاحبه عمارة لبيتها وتتميما للشبه الجامع لهما. وعليه باب ما لا ينصرف . الا تراهم لما شبهوا الاسم بالفعل فلم يصرفوه . كذلك شبهوا الفعل بالاسم فاعربوه) . اي ان الفعل اخذ من الاسم الاعراب. وخشي الفعل ان يغضب الاسم من ذلك فأعطاه المنع من الصرف اذا سميت رجلا يزيد وبذلك ساد الوئام بين الاسم والفعل . تعليل عجيب يدل على ذكاء خارق ولكنه لا يمت الى الواقع بصلة . والتفكير الحديث لا يعبأ بأكثر التدليل ذكاء ولا يبهره التخريج البارع ما دام ذلك لا يدل على الواقع . وقالوا ان قولك هذه رجا لمثل من امثلة التراجع عند التناهي . ومن عجيب تعليلاتهم تفسيرهم الادغام في شد اذ انه لتفادي التقاء حرفين متحركين من جنس واحد . ولما اعترض عليهم بأنك تقول الطلل والمدد قالوا (ابن جني) هو كذلك الا ان الفتحة خفيفة وان الاسم اخف من الفعل وما رايه في الظن وهو اسم وفيه فتحة كالطلل سواء بسواء .

وقالوا في رفع الفاعل ان الضمة ثقيلة فاختاروها للفاعل لانه اقل ورودا في الكلام من المفعول . كأن العرب الاولين احصوا الفاعل والمفعول ووجدوا ورود الفاعل اقل من المفعول فاختاروا له الرفع اما رفع المبتدأ فلانهم يقدمون الاثقل ويؤخرون الاخف من قبل ان التكلم في اول نطقه اقوى نفسا واظهر نشاطا . وفي الخصائص فصل من اعجب الفصول عنوانه (عكس التقدير) يقول فيه : هذا موضع من العربية غريب وذلك ان نعتقد في امر من الامور حكما ما في وقت ما . ثم تحور في ذلك الشيء عينه في وقت آخر فنعتقد فيه حكما اخر . وذلك كله تفسيرا لكلمة علقاة وفيها علامتا تأنيث. فحين تقول علقاة فالالف حكمها غير التأنيث (الالحاق) فان قلت علقى انعكس التقدير فاصبحت الالف للتأنيث . وقالوا عن ابي عبيدة انه كان اجفى من ان يفهم هذا . ونحن نفضل ان نكون في جفاء ابي عبيدة عن ان نكون في دقة ابن جني في هذه المسألة .

قد يقال ما لنا ولهذه الامثلة ونحن لا ندرسها ولا نتعرض لها باقرار او نفي فاذا اغضينا عنها زال ما ندعيه من ضررها على التفكير العلمي عندنا . والواقع ان مثل هذه الاصول متغلغلة في علوم اللغة كلها وهي قائمة عليها واذا ابقينا على بعض هذه العلوم دون البعض انعدمت الوحدة فيها واصبحت ولا اصول لها .

وسنعرض الان لما لا نرضاه من علوم العربية . فنحن لا نرضى عن طريقة القدماء في جمع مادة اللغة . ولا نرضى عن طريقتهم في تحليل هذه المادة واستخلاص

قواعد اللغة منها . ثم نعرض بعد ذلك امثلة من القواعد التي يصح ان نتبعها في تأليف علوم جديدة تتفق وتفكيرنا الحديث .

جمع المادة اللغويـة

لا نزاع في ان اكبر حدث في تاريخ اللغة العربية كان نزول القرآن الكريم بها . ولم يكن العرب قد سبق لهم تدوين لغتهم ودرسها ولم يكن قد سبق لهم عهد بالتأليف ولم يكونوا قد عرفوا القراءة والحساب . شهد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما « انا أمة امية لا نقرأ ولا نحسب »(٣). وكان من جراء نزول القرآن الكريم ان اصبحت اللغة العربية بين عشية وضحاها قد بلغت اوج مجدها ، وتمام نموها ، وعرفت ارفع اساليبها . وقيل للناس ان غمض عليكم شيء في كتاب الله فردوه الى كلام العرب فانه نزل بلغتهم . وكان حتما على العلماء ان يتهافتوا سراعا على جمع كلام العرب وتدوينه لاول مرة في تاريخ هذه اللغة . وتجمعت لهم بذلك اخلاط من الالفاظ والوان من العبارات تلقفوها من افواه الناس وكان من الطبيعي ان يكون في ما جمعوه تكرار واختلاف وتجاوز في الصيغ والمعاني . لان اعتمادهم كان على ما يقول العرب ولم يسبق لكلام العرب قبل القرآن ان يدون ويختار منه ما يروق لاهل الذوق السليم .

ولعل اللغة العربية تكون هي اللغة الوحيدة بين اللغات الكبرى التي تم نموها على هذا النحو .

فاللغات تكون سماعية مضطربة مختلطة اول الامر. ثم يكتب الادباء والمفكرون والعلماء كتبا يستحسن الناس بعض ما فيها فيحتذونه . ثم يجيء بعدهم اخرون من هذا الطراز يحددون الصيغ والاساليب والقواعد ثم يقرهم على ذلك الذوق العام عند اهل اللغة . ثم يجيء علماء اللغة فيضعون قواعدها مسترشدين بما كتبه الكتاب واستحسنه الناس . وتصبح هذه القواعد اصلا تتبعه الاجيال اللاحقة . ولا تزال هذه القواعد تزداد استقرارا واطرادا وبساطة . هذا تاريخ نمو اللغات بل هو تاريخ نمو كل فن . ولكن تاريخ اللغة العربية لم يكن كذلك . ومن هنا كانت مادة اللغة العربيـة وجمعها واستخلاص قواعدها امرا خاصا بها يرجع اليه كثير من خصائصها .

ولم يكن لعلماء اللغة مناص من جمع اللغة على هذا النحو . الجأتهم اليه ظروفهم الخاصة وانعدام التدوين حينذاك فكان اعتمادهم على ما يسمعونه من الكلام العربي الذي لم يصقله الاختيار ولم يهذبه الاستحسان . ونحن لا نستطيع ان نقرهم على ان كل ما يقوله العربي يعد اصلا من اصول اللغة . وانها هي العرب تقول ما شاءت. فيكون قولها صوابا حتما . ولم يعد يرضينا ان يكون من اصول لغتنا ان الاصمعي سمع اعرابيا يقول :

يقوم هذا الاصل من اصول اللغة العربية ـ ان العرب تقول ـ على فرض غير مقبول . وهو ان اللغة العربية متمكنة من اهلها الى حد لا يستطيع معه احد منهم ان ينطق بها خطأ . والمعري يقول في (رسالة الغفران) انهم كانوا يستشهدون بالكلمة تقولها الامة الوكعاء . ورووا في ذلك احاديث عجيبة . جاء في الخصائص في روايتين مختلفتين ان احد فصحاء العرب « الشجري » قيل له قل جاء الرجلين فقال لا اقولها ابدا . وطلبوا اليه ذلك مرارا فلم يقبل فقيل له قل رايت الرجلين فنطق بها . فقيل له الم تقل انك لا تنطق بها ابدا . فقال هنا اختلفت جهة الكلام . هذا برهان ضعيف جدا على تمكن العربية من اصلها . ولا يصلح دليلا على ان لسان العربي لا يطوعه اذا نطق بالخطأ . ولولا اني من المعجبين بابن جني وذكائه الخارق لشبهته بذلك الانجليزي الذي ارهقه تعلم الفرنسية ثم زار فرنسا . وعاد يقول ان الفرنسيين قوم في غاية الذكاء فان اطفالهم يتكلمون الفرنسية بطلاقة مدهشة . وهل منا من يستطيع ان يرى في حديث الشجري هذا برهانا على ان كل عربي ينطق بالصواب اذا عرضت له مسألة معقدة مثل قولك « فاذا هو هي » او « فاذا هو اياها » لانه ابى ان يقول قام الرجلين .

ونحن لا نستطيع ان نفرض ان اللغة شيء في الدم يورث ما دام الانسان في جو خاص . بل الذي لا نزاع فيه ان اللغة تلقين واستحسان . ولا يمكن ان نتصور امة تكون فيها الامة الوكعاء قادرة على التمييز بين المعاني الدقيقة والاساليب الراقية والثابت ان المتحضر لا يستخدم في كلامه اكثر من الف وخمسمائة كلمة . والبدوي قد لا يستخدم اكثر من خمسمائة كلمة . فاذا عرضت له كلمة غير مألوفة فقد يكون سمعها من قبل ونسي صيغتها او باب فعلها . ولعله يجتهد فيخطىء او يصيب ولعله يكون من الذين لا يرون فرقا بين صيغة واخرى. فيكون كلامه حجة في خمسمائة كلمة مألوفة ولكنه لا يكون حجة في كل كلام العرب صيغا ومعاني . وليس لنا ان نضع في لسان اهل البادية صفات لم تعرفها امة من الامم فالرجل الالماني ، مثلا ، يتعلم لغته سنين طويلة ويقراها كل يوم في صحفه وكتبه سليمة . ولا يقول احد ان كل ما يقوله الالماني صواب في لغته . والاعرابية التي نحتج بكلامها قد لا يعرض لها ان تتعجب من حسن السماء طول حياتها واذا تعجبت فقد تقول ما قالت ابنة ابى الاسود الدؤلي . وقد لا تجد حولها من يفهم الفرق بين التعجب والاستفهام ويعني بتصحيح قولها . وما يروى عن الجواري من القول الفصيح المعجب انما يروى بمعناه

---

(٣) رواه البخاري في باب الصوم .

لا بنصه . واللغة فيه لراوي الحديث وهو من العلماء والأمة الوكعاء مظلومة في نسبة هذا الكلام اليها(٤) .

علم علماء اللغة المتأخرون هذا الضعف في الاحتجاج بقول اهل الوبر . وقال ابن جني ان لغتهم في عصره فسدت وهو يحسب انها كانت قبل ذلك سليمة . واظنها لم تكن في عصر من العصور سليمة بل كان اهل الوبر يخطئون ويصيبون كما يفعل الناس جميعا . واراد النحاة المتأخرون ان يردوا على هذا الاعتراض فادعوا انهم انما يأخذون بقول الفصحاء منهم والواقع ان النحاة الاولين لم يدققوا في اختيار من يروون عنهم اللغة بل كان يكفيهم ان يكون الرجل قد شافه العرب وحفظ عنهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ كما قالوا عن سيبويه . والمتأخرون ارادوا ان يقلدوا المحدثين في تحري الدقة في جمع اللغة عن اهل الفصاحة من اهل الوبر ولكن كيف كانوا يختارون الفصحاء ؟ كان الفصيح عندهم من يقول بما يطابق قواعدهم . سألوا اعرابيا كيف تقول فتحت فاي فقال اقولها كذلك فعرفوا انه غير فصيح لان عندهم ان ياء المتكلم تكسر ما قبلها حتما . فكان يجب ان يقول فتحت في . ولو قالها لعدوه فصيحا واخذوا عنه كل غريب واولوا له كل شاذ .

والنظرية تحمل في ثناياها ما ينقضها دون حاجة الى تفنيد . قالوا ان ابا عمرو بن العلاء كان اعلم بكلام العرب من الحضرمي . ويعني ذلك بداهة ان الحضرمي وهو عالم متفرغ للغة وأساليبها لم يحط بجميع ما قال العرب . فكيف يحيط الاعرابي من أهل الوبر وهو الذي لم يعن قط بتحقيق لغته . كيف يحيط هذا بكل ما قاله العرب حتى يصبح قوله حجة لا تنقض .

الواقع انه بعد ان كثر الكتاب المفكرون والادباء المتفوقون في اللغة العربية لم يعد ما قال العرب يصلح اصلا من اصول اللغة . والنتيجة الحتمية لذلك ان نعود الى هذه المادة اللغوية فنحذف منها ما لا يستقيم وما لا فائدة منه وما هو من اختلاف اللهجات وما هو مصنوع وان تستقر الالفاظ على صيغة واحدة والافعال على باب واحد والمصادر ذات المعنى الواحد للفعل الواحد تستقر على صيغة واحدة . والجموع تكون على شكل واحد للكلمة الواحدة . ويسقط احتجاج اللغويين بما ورد وما لم يرد . وعلينا ان نرفض من الالفاظ ما تعددت معانيه تعددا معيبا وما اختلف تحديد معناه . وان نعدل عن الظن بان العلم بالغريب هو غاية العلم باللغة وان لا نبقى منه الا ما دل على شيء لا تدل عليه الكلمة المألوفة وهذا يستدعي معاجم حديثة من طراز يختلف في جوهره عن المعاجم القديمة كما سنبينه فيما بعد .

الشعر

من اهم مصادر اللغة العربية الشعر . وكانت للناس به عناية فائقة . وكان يكفي في التدليل على صحة معنى كلمة او صيغتها او صواب تركيب ما ان يقولوا قال الشاعر . والذي دعا الى كل هذه العناية بالشعر سهولة حفظه وتداوله بين الناس على نحو يقرب من التدوين حين عز التدوين بالكتابة . ولعلهم كانوا يرون ان نظم الشعر يدل على قدر من الذوق الادبي يسمح بالاستشهاد به . وقيل ان الشعر ديوان العرب . وقد يكون حقا ديوان عاداتهم واخلاقهم وايامهم وما يحبون وما يكرهون ولكنه لا يصلح ديوانا للغة دون تحقيق دقيق .

والشعر في اللغات كلها له اسلوب خاص واوضاع وترتيب في الكلام يقبل من الشاعر ولا يقبل من الكتاب عادة(٥) ولا يعد اصلا يتبع في النثر . بل قد يضطر الشاعر ان يغير من نطق كلمة ليستقيم الوزن ولا يجاري احد من الكتاب الشعراء في مثل هذا . الشعر العربي لا يختلف في هذا عن الشعر في اللغات الاخرى . وانما زاد في صعوبته ان اوزانه محدودة محكمة لا تقبل الا قليلا من المرونة . وقافية القصيدة واحدة مما يزيد في صعوبة النظم . ولو التزم الشعراء العرب صحة الالفاظ واستقامة الاسلوب وجودة المعنى مع هذه الاوزان القاسية والقافية الموحدة دون تجاوز عن بعض الصيغ وتهاون في الصرف ما استطاع اكثرهم ان يقول الا القليل من الشعر .

على ان للنظم جمالا يجعل هذه الانحرافات في اللغة والاسلوب مقبولة . ولكن النحويين يخطئون حين يجعلون ذلك اصلا من اصول اللغة يباح لغير الشعراء . وليس هناك لغة تجعل للتقديم والتأخير في الشعر قواعد خاصة تسري على اللغة كلها . انما يتحكم في ذلك الوزن . والذنب على النحويين حين يتخذون من مثل قول الفرزدق:

قنافذ هداجون حول بيوتهم   بما كان اياهم عطية عودا

دليلا على جواز قولك كان طعامك زيد آكلا . وذلك كلام مقبول حسن ، وهذا كلام سخيف .

والشعر مهما يكن جيدا قد لا يخلو من تساهل في معاني الالفاظ . فالشاعر يضع الكلمة التي يستقيم بها

---

(٤) رأيت يوما سيدة تريد أن تعبر الطريق والسيارات تمنعها فقلت لها انتظري حتى تقف السيارات فقالت وهل ينتهي هذا النمل أبدا . فأعجبت بخيالها الجميل الذي رأى في صف السيارات المستمر شبها بالنمل الذي تراه في دارها في صف لا اول له ولا اخر فهل اذا رويت هذا الحديث كما أرويه ايكون هذا برهانا على ان ما أرويه هو نفس ما قالت الفلاحة . وما كان قولها الا ((وهو النمل ده عمره يخلص) وهل يجوز للناس بعد خمسين سنة ان يقولوا ان قرويات مصر كن يعربن .

(٥) قيل عن كاتب انجليزي متأنق انه كان لا يطيق ان تكون جملة نثرية في ترتيب يجعلها كالمنظومة ويعد هذا عيبا في النثر .

وهـم

اختاه .. بح رجائي وما سمعت نـدائي
ولست منك بعيدا وليس صوتي بناء
ذهبت انت بـواد وسرت فـي اوداء
إختاه .. هل ننتهي ام ليـس من انتهـاء

يا زورق العمر مهلا ضللت عـن مينائي
قذفتني في صحاري الاسى وقفر الشقـاء
وبي حنين ملـح يمـور في احشائـي
للورد .. للزهـر .. للعطر والشذا والرواء
للشعر ... اسكب روحي به وفيض دمـائي
تأتي القوافي عذارى في مـونق الازياء
اختـار منها انتقـاء فـأزدهي في انتقائي

اختاه اغمضت عيني اغماضة الاغفـاء
ورحت اذكر امسي وما مضى من صفائي
استرجـع الحب نشوان مترف الانـداء
وما تغنى بـه القلبمن لـذيذ الغنـاء
واللهو والنـاي والقـرب وارتـواء اللقـاء
وفتيـة عطرتهـا روائح الصهبـاء

اغمضتها ثم فتحتها بكـل عنـاء
فما رأيت سوى الـوهم في دنى صحـرائي

حمص عبدو مسوح

الوزن موضعها من البيت اذا كان معناها قريبا . وهـو يقحم المعنى الذي يريده على الكلمة وان كانت بينهمـا فروق يسيرة . وضاعت بذلك دقة دلالة اللفظ عـلى المعنى . فالشاعر لا يقف عند الفرق بين الهجوع والنوم او السير والسري بل يختار ما يوافق النظم . ولا نزاع ني ان هذا التساهل افسد كثيرا من الدلالات الدقيقـة للالفاظ . وكذلك صيغ التكسير وغيرها يختار الشاعر منها ما يوافق الوزن ما دام الغرض مفهوما بل قد يخترع جموعا ومصادر لم يسمعها من قبل ولا يعني ذلك انهـا تصبح مباحة لغير الشعراء . قال الشاعر :

لو كان في قلبي كقـدر قلامـة من حب غيرك قد أتاهـا أرسلي

والشعر ضعيف لا يعتد به ولكن النحويين درسوه . قالوا ان رسول لا تجمع على ارسل فاذا كان هذا صحيحا فالشاعر اخطأ من غير شك . ولكن الشعـر اصل مـن اصول اللغة لا يقع فيه الخطأ فوجب التأويل وتخريـج ابن جني لذلك ان افعل تجوز في الجمع عند التـأنيث وان الرسل في هذه الامور يكونون عادة مـن النساء . تخريج جميل ولكنه غير صحيح لان الشاعر قال ذلـك دون ان يعنى بالقاعدة جهلا او اضطرارا . قال الشاعر :

مثلهـا يخرج النصيحة للقـو م فلاة من دونهـا افـلاء

قال ابن سيدة ان فلاة لا تجمع على افلاء وانما افلاء هذه جمع فلا التي هي جمع فلاة وهذا ايضا تخريـج لا يطابق الواقع . فالحارث بن حلزة وجد ان افلاء مفهومة على انها جمع فلاة وانها تناسب الوزن والقافية فوضعها غير عابيء بما سيقول فيه النحاة . يقول النابغة الجعدي:

موالي حلف لا مـوالي قرابـة ولكـن قطينا يحلبون الاتاويا

وهو يريد جمع أتاوة . ولكن اتاوة تجمع على اتـاوي كهراوة وهراوي . بعد ان تمر بمراتب لكل مرتبة علـة فتكون اتاء ثم أتايا كعطايا . ثم أتاء ثم أتاوى . ويعترف ابن جني ان الشاعر غير في هذا الجمع لتستقيم القافية فجعلها أتاويا وعلل ذلك بعلة معقدة غاية التعقيد .

والواقع ان الشاعر لم يقصد الى شيء من ذلك ابـدا انما اراد جمع اتاوة جمعا نهايته تتفق مع روي القصيدة فقال أتاويا . وليس لاحد ان ينسب اليه شيئا لم يفكـر فيه . ولا يصح ان نجعل هذا الخروج صحيحا يستطيعه من الكتاب من لم يضطر اليه .

وقالوا ان سواء لغة في سوى . ودليلهم قول الشعراء من سوائنا . ظنا ان اهل هذا الشعر كانوا يقولون سوائنا. وهذا بالطبع فرض لا يقوم عليه برهـان . انمـا وضع الشاعر من عنده وليست لغة في سوى .

هذا ما افسد الشعر الجيد في اللغة . اما النحويون فلم يفرقوا بين الشعر الجيد وغيره فزدوا الطين بلـة وهو ما نعيبه عليهم عيبا شديدا ولا يمكن ان نقرهم عـلى شيء منه .

ومن ذلك ان اكثر شعر الشواهد مصنـوع واضـح الصنعة . والبيت الذي صنع وجاز عـلى سيبويـه مشهور . وان كنت لا ارى غضاضة في ان يكون للصفة المشبهة مفعول في قولهم حذر امورا لا تضير . وقـد جاز على المفسرين الشعر المصنوع كذلك يقول الطبري في تفسير قوله تعالى (فانبـذ اليهـم عـلى سواء) . ان الشاعر يقول :

واضرب وجوه الغـدر الاعـداء حتى يجيئـوك الـى السـواء

والانسان لا يحتاج الى ذكاء خارق ليرى ان هذا البيت مصنوع صنعة رديئة ليكون تكأة تفسر عليها الآية الكريمة ثم ان رواية الشعر لم تكن دائما حجة فقد يروى البيت على اوجه ومن السهل على الراوي ان يضع كلمة مكان اخرى وخاصة اذا كان عالما بالشعر . وليس الحافظ معصوما من مثل هذا الخلط الذي يزيد في اضطراب القواعد القائمة على الشعر .

ومن الشعراء من لا تعنيهم الدقة في القول بل منهم من لا تعنيهم الدقة في المعنى وقد يكونون مع ذلك من كبار الشعراء . يقول الحطيئة :

فيه الرماح وفيه كل سابغة ... جدلاء(٦) مبهمة من نسج سلام

وكنت احسب سلاما هذا صانعا ماهرا للرماح . ولكن العسكري شارح ديوان الحطيئة يقول ان سلاما هذا هو داود عليه السلام . فسلام مثل سليم وسلمان وسليمان تصغير سلمان وسليمان بن داوود الذي علمه الله صنعة لبوس . وهذا البيت وارد في شعر الحطيئة الذي قيل ان شعره ليس فيه هنات . وقال شاعر آخر :

كأن الغطامط من غليها ... اراجيز أسلم تهجو غفارا

وكان نصيب الشاعر حاضرا فقال ان أسلم لم تهجو غفارا قط فسكت الشاعر. واذا كان هذا مقدار تساهلهم فى المعنى فتساهلهم فى الالفاظ ومعانيها وصرفها اكثر .

ومن الشعراء من يكون غير متانق في قوله لنقص فيه وان كان شاعرا كبيرا . وعندي ان الفرزدق كان كذلك . فهو لم يكن حسن الخلقة ولم يكن حسن السيرة ولا حسن التصرف . وقد يكون في دخوله على الخليفة وعلى راسه عمامة كبيرة لينشده قصيدة له في الفخر قد تكون هذه شجاعة ولكن عمله هذا ليس من حسن الذوق وشعره فيه هذا العيب انه لا يدل على التانق . وقوله ما انت بالحكم الترضي حكومته ليس لغة في الذي وليس دليلا على امكان دخول ال على الفعل وانما هو دليل على تراخيه وعدم تأنقه . ومثل ذلك بيته الذي اتعب الناس ولا يستحق ان يحفظ او يدرس أو يعنى به على اي وجه وهو قوله :

وما مثله في الناس الا مملكا ... ابو امه حي ابوه يقاربه

هذا سخف كان يجب ان نعرض عنه اعراضا تاما .

ومن الشعر ما هو مزاح لا يأخذه مأخذ الجد الا النحاة الذين يرون كل شعر عملا جليلا . من ذلك بيت من ابيات الشواهد :

قالت وكنت رجلا فطينا ... هذا لعمر الله اسرائينا

قالوا ان اعرابيا صاد ضبا صغيرا . فلما جاء بهامراته ضحكت منه وقالت هذا من بني اسرائيل مسخه الله . فاراد زوجها ان يمزح فقال هذا البيت . حادثة تافهة وقول تافه . ولم يرد الشاعر ان يقول شيئا ذا قيمة . ولكن النحاة راوا فيه دليلا على ان قال قد تنصبمفعولين ونسوا ان هذا الشاعر الصغير بدل لام اسرائيل بنون (وقد يقال ن هذه لغة) ونصب اسرائينا للقافية وليس من المعقول ان يصبح هذا الشعر قاعدة تنصب قال مفعولين من اجلها ومن المزاح بيت آخر من ابيات الشواهد :

اتوا ناري فقلت منون قالوا ... سراة الجن قلت عموا ظلاما

وللنحاة فيه بحثان دخول الواو والنون على من وحذف خبر منون والواقع ان الشاعر اعجبه ان يقول للجن عموا ظلاما . والبيت يدور حول هذا مزاحا . وخطأه في اللغة عند خطاب الجن خطأ موفق لانه يبرز المزاح على نحو لم يكن ليتحقق لو تحرى اللغةالصحيحة.

وهناك هذا البيت الذي ذكره النحاة جميعا :

ان اباها وابا اباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وقالوا ان هذه لغة في الاسماء الخمسة وليست كذلك فان الشعر ضعيف واباها على احسن تقدير اتباع والواقع انها للقافية وحدها ومن ضعف هذا الشعر قوله غايتاها. ولا ادري لم ثنى الغاية ولا ادري ما تعود عليه فيغايتاها.

الواقع ان الشعر لم يفسد النحو كثيرا لان النحو لا يعترض النظم الا نادرا . لكنه افسد الصرف وصيغ المصدر وجمع التكسير ومعاني الالفاظ التي اصبحتكلها متداخلة متقاربة تدل الكلمة الواحدة على معاني كثيرة ويدل على المعنى الواحد الفاظ كثيرة .

وعلينا ان نجعل ذلك كله مستقيما . وذلك بأن نعرف للشعر اسلوبه والفاظه الخاصة وان لا نتخذ من ذلك دليلا على صوابها في غير الشعر .

ومما يتعلق بجمع مادة اللغة اسرافهم في العناية بالغريب . قالوا ان شعر رؤبة والعجاج يجمع نصفاللغة وهو من غير شك النصف الذي لا يضير اللغة شيئا ان تفقده . ومن الخطأ العناية بمثل مقامات الحريري فهي وسيلة لتذكر الغريب ليس الا . وكأنها معجم للغريبفي اللغة من نوع خاص . او هي الفية الغريب مثلها مثل الالفية في النحو . وهي من الادب كالالفية من الشعر ليس لها منه الا الصورة الفجة . كل ذلك لا يعتد به في تحقيق المادة اللغوية ومعاني الكلمات وصيغها .

(في العدد القادم « نشأة النحو »)

القاهرة — محمد كامل حسين

(٦) في مادة سلم (محكمة) .

ولادة

في ملتقى الجدار بالجدار
اصابع معروقة السنين
تأكلها الوحدة والحنين
وتعب النهار
والزوجة الخجول لا تمانع
وتقول لا ، تقول
وفي غد ترتعش الحقول
والموقد
فم رضيع يبرد
والقمر الشرير
ينسل من شباكهم
ويرقد
على رؤوس خمسة صغيرة
تأكل احلاما على الحصيرة
وآخر الظلال
تلملمت
عند بيوت اطفأت عيونها
والموقد
يمضغ آخر جمرة
ترمد
الارض كانت تلد

قوافل الرياح
تحرك الاغصان
الف فم يرتعش
والجوع يحفر قبة المكان
والعطش
يقور الليل صلاة
اسفنجة
تقيء في مسامها الحياة
لا ، لا تهز سلم الزمان
لا تدعي الشجاعة
فتسقط الاعمار كالنجوم
حبات تين ناضج
حرمان .
قناعة
والليل الف الزمن الغريق
يحصد في شاطئه العتيق
تسامر المواقد
مزارع التنهد
ويفرش السماء
فوق وحل الطريق

موانيء الاحلام في المساء
تفتح لي السماء
تعمر الارض على جبيني
بوابة مرصودة
عاهرة شريدة
تأخذ حجم القرش في
زاوية الفضاء
ومخمل المساء
سلم يعقوب الى السماء
وبضع اكداس من السنين
تدور في ماخورة عذراء
تكنس الاحلام . .

من عمر الاهرام
انا لا احب علم الهندسة
انتفخ الشارع حتى الحنجرة
علب المصارين مكدسة
بذار احداق مقطرة
جماجم مدللة
وعضلات مضمحلة
وجلود صدئت
وجبهات وطئت
والمرأة الوحشية
تنتظر الاصابع الجائعة
تمزق البكارة الضائعة
خلية خلية
والرحم الكبير
يقطر بالدماء والدموع والعرق
وافق ظليل
يطفيء جمر الجوع والشبق
مزارعا مزارعا
في الحلم الطويل
في ذبذبات الالم الجميل

الليل اصوات مكسرة
رايات احلام منكسة
واحمرت النجوم فوق المقبرة
غناء قبرة
يحرث في ارض مقدسة

عصام محفوظ

غـــربـــة

ثريا ملحس

يا الهي ،
في متاهاتي اجوب
تتحداني الخطوب
وانا في ضلة
لا اداريها ، ولا روحي تثوب

صامت قلبي غريب
بـارد حرفي لهيب
ويغيب في متاهاتي يغيب
صامت قلبي غريب
مثل قبر لا يجيب

يـا الهي .
يوم كنت طفلة ارقى اليك
كان قلبي مسجدا فيه اذوب
اتعالى ، لي حبيب
يسكن السر قريب

لجناح الطير رمشي
للندى روحي تثوب
لـك يـا رب عروقي

يـا الهي يا وهوب
مـد لي حبل الرجاء
اربط الماضي بيومي
يومنـا يـوم عصيب
لا تدع همـا بدربي
يتمطى . . . .
في متاهات يجوب

من ندائي بح صوتي
والصدى في يغيب
ان تمنيت ضياءك
فـانا نـور رقيب
املأ الدنيـا صباحا
مفرقي شهب عجيب

اعطني عمرا مديدا
اعرف اللغز ، اجيب

يـا الهي ، ان بخلت
في ملوى ، منحنى يرعى ضميري
يملأ الدنيا ضياء
مجده مجد رحيب

حاولت ان أعرفه جيداً ، وان أوضح لنفسي بعض معالمه الغامضة وبعض شروده وذهوله وقلقه المستمر ..

كان يبدو دوما في قلق ، وكانت نفسه الشرودة وذهوله المطبق الطابع الذي عرف به منذ زمن بعيد . كان في الثلاثين من عمره، اسود الشعر، اسود العينين .. معالم وجهه تنطق عما تخفيه نفسه من معان يحاول جاهدا ان يخفيها عن الجميع .. ولكنه يفشل دوما في اخفائها ، حيث انها تبدو واضحة تمام الوضوح على قسمات وجهه تارة وفي تصرفاته التي كان يتصرفها تارة اخرى .

عرفته ـ كما عرفه الاخرون ، زميلا في العمل .. وبالرغم من انني حاولت ان تتعدى علاقتي معه علاقته بالاخرين حتى اتبين ما تنطوي عليه نفسه ، الا انني لم افلح فظللت اعرفه كما عرفه غيري دون زيادة ولا نقصان .

وكان « ياسر » يحرص حرصا شديدا على نفسه ، فهو لا يريد ان يعرف عنه احد من الناس ما لا يعرفه غيره .. لذلك فقد بسط نفسه امام الجميع وعرفه جميع الزملاء في العمل وخارجه بالقلق والضياع والحرمان ، والذهول المطبق .

وكنت ـ بيني وبين نفسي ـ اتحرق لان اعرف عن « ياسر » الشيء الكثير ..

فجلست اليه مرة وقد نسينا العمل الذي نقوم به لفترة الحديث، وسألته :

ـ عجيب امر الحياة يا اخي .. يظل المرء يشقى حتى يحصل على ما يرتاح اليه .. ولكنه ابدا لن يصل الى ما يريد ..!

فنظر الي « ياسر » نظرة قاسية .. وللحظة واحدة خيل الي انه لا يعرفني مطلقا .. فقد بدت نظرته كمن يريد ان يقترف جرما بحق انسان لا يعرفه ولا يحبه ولا تربطه به اية رابطة .

حاولت ان ازيل معالم النظرة القاسية من عيني « ياسر » ولكنني خشيت كذلك ان انا حاولت مرة اخرى ان اوسع الثغرة بيني وبينه والقى عكس ما اسعى اليه . فسكت ..!

وظل « ياسر » ينظر الي ويكاد يلتهمني بنظرته السافرة من كل معاني الرقة والتعاطف والزمالة .

واخيرا .. لم املك نفسي من القول ، وقد وضعت نصب عيني كل احتمال .. فليس أصعب من ان ينفر مني او يسكتني حينما يلمح الحاحي في سبيل معرفتي طوية نفسه ومكنوناتها ، فقلت له :

ـ .. الا ان المرء في بعض



بقلم عدنان الداعوق

الاحيان يحصل على ما يبتغي دون ان يشعر .. كالحب الذي يتمناه المرء ويحلم به وهو على بعد خطوة منه ..!

وما كدت اتمم عبارتي حتى انني فوجئت من هول ما رايت .. ابصرت « ياسر » وقد تغيرت سحنته تماما ، وبدا لي كما لم يبد لي يوما من الايام .. تغيرت نظرته تماما، وتكسر جفناه عن نظرة ضارية وانتفخت وجنتاه وكادت تنفجر عروق رقبته من كثرة الانتفاخ ، وكظم غيظا التهب في جوفه وبانت معالمه في منتهى الوضوح.. وعرفت انني سببت له كل هذا الضيق ..



وقبل ان احاول الاعتذار منه على ما قلت ـ وفي عرفي انني لم اقل شيئا يستوجب كل هذا الحنق والغضب .

الا ان معالم الحنق هذا لم تلبث ان تلاشت حينما لمحت دمعة زكية تترقرق في عيني « ياسر » وكأنها تثبت لي انه يائس فعلا..وانه اشد الناس يأسا في الوجود ..!

وعندما انصرف عني الى عمله ، كنت ارقبه بطرف خفي .. وارى انه لا يعمل شيئا ولا يخط حرفا واحدا على الورق الذي امامه.. بل كان القلم جامدا بين انامله ويقف فوق الاوراق المكدسة امامه يحكي مأساة صاحبه . وبدات افكاري تتردد في تساؤل مستمر .. لقد كان يبدو منذ لحظات عاديا بالنسبة لطبعه الذي عرف به ، ولم ينفعل تجاهي أو تتغير ملامحه وسحنته الا حينما فاجأته بكلمة الحب لدى الانسان الذي لم يكن يدركه وهو على بعد خطوة منه ..

وربطت فجاة علاقة ثورته المكبوتة، وانفعاله المخفي وراء غيظه البادي على وجهه ، بالحب ... وحتمت انه لا بد للحب من اثر في نفس «ياسر» ولا بد انه يعاني منه اكثر مما يعانيه غيره من الشباب .. وربما هو عاشق ، ويحب فتاة يحار معها في حبها .. او ربما هو محروم كذلك من الحب ويشتهيه كغيره من المحرومين .. أو ربما ترجع هذه الكلمة الى تاريخ بعيد في حياته وتؤثر في تصرفاته وما تزال تستعبده حتى اليوم ..!

وظل «ياسر» لغزا كبيرا بالنسبة الي ..

ورغم انني كنت اكثر المقربين اليه الا انه لم يكن ليثق بي مرة من المرات . فيحدثني عما يشغله ويؤرقه او يضني نفسه .

حتى جاء للمكتب يوما وعلائم الشجار بادية على محياه .. وكانت ما تزال بعض الخدوش تظهر في

وضوح على وجهه . وقبل ان اساله عن اي شيء .. علمت من بعض الزملاء انه اشتبك في شجار مع احد الناس من الذين لا يعرفون طبعه ولا تصرفه .. ولا بد ان « ياسر » قد تضايق — لامر ما .. وربما لسؤال بسيط جدا فاندفع في غيظه وحنقه وشجاره .

تطلعت الى « ياسر » وهو وراء مكتبه ..

كان يبدو كطفل كبير ، ولاح لي يوم سألته سؤالا فلم يستطع احتمال وطأته فاندفع يبكي بعين ساكتة وقلب مجروح .

وزفرت زفرة خرجت من اعماقي وكانت تترجم سؤالا انطوى بصمت في قلبي :

— لماذا هو كذلك ..؟!

وقبل ان استرسل في تخيلاتي واغيب في تحليل موقفه بيني وبين نفسي ، لمحته يتوجه الي ببصره .. واصطدمت نظرته بنظرتي .. ولاول مرة لمحته على غير عادته : بسيطا طيبا مسكينا .

وكانت نظرته تترجم لي بكل صدق واحساس نفسه التي ظلت بعيدة عني لزمن بعيد .. وكأنها كانت تقول :

— كم انا يائس شقي ..!

نهضت من وراء مكتبي وتقدمت منه ، وقلت له :

— تصور يا اخي ان المدير ناقم علي لانني اقوم بعملي على اتم وجه .. وكانه يريدني مهملا مضيعا للعمل والوقت معا كغيري من الزملاء ..

كنت بقولي هذا اريد ان اخرج «ياسر» من الورطة التي هو فيها.. كنت ارغب ان ينطلق معي في حديث طويل حتى ولو كان تافها ، على امل ان هذا الحديث سيخفف عنه آلام نفسه العميقة التي لا ادركها .

وتعلقت نظرته بي وقال بما يشبه الهمس :

— المهم ان تعرف انت واجبك في الحياة .. ولا تلتفت الى اي مخلوق!

واحببت ان اسأله بدوري :

— وهل تعرف انت واجبك نحو نفسك ..؟

ولكنني عدت فسكت .. وكتمت السؤال في احشائي خيفة ان يبعث الحرف الواحد في نفس « ياسر » ما لا ارغبه ولا اريده .

وكتم عني خبر مشاجرته اياما.. الا انه بعد ان مضى على تلك الحادثة عدة ايام .. كنت واياه نخرج معا من مقر عملنا ، وتعمدت ان اسير في اتجاهه .. علما بانني لا اعرف له اتجاها معينا ، حتى طريق منزله لا اعرفه .. فاحيانا اجده يسير — حين خروجنا من العمل — في شارع القوتلي ، ومرة اجده يتجه نحو الطريق المؤدي الى المهاجرين .. ومرا ت اخر ى اجده تائها من شارع الى شارع كانه لا يعرف الى اين سينتهي .

وكنت الى جانبه احاول ان اخرجه من صمته الذي هو فيه ، باية وسيلة ، .. وفجأة قلت له :

— ما رأيك لو تناولنا طعام الغداء معا يا ياسر ..؟

فنظر الي ودون ان ينطق بحرف اومأ لي برأسه علامة الموافقة .

ولا انكر ابدا الاستغراب الشديد الذي لاح على وجوه بقية الزملاء حينما راوني اسير بجانبه ، فلكثرة قلقه وكآبة طبعه مل الزملاء من صحبته .. الا انني كنت الوحيد الذي استطاع ان يبقى على زمالته لياسر رغم عدم تجاربه معي .

تناولنا طعام الغداء وكأننا في حفلة تأبين صديق عزيز ، لم يتكلم معي .. ولم يفكر لحظة ان يجاوب على اسئلتي او احاديثي ، او يعلق على شاردة صغيرة واحدة .

وحين كنا في الطريق كان يسير وكانه الوحيد في الشارع كله .. وكأنه يحسب نفسه انه الوحيد كذلك في هذا العالم الكبير .

ووجدته يقف قليلا عند شارع متقاطع وينظر في الاتجاه الاخر من الطريق ويمتقع لونه ويشتد اضطرابه .. وتحركت شفتاه بما يكاد يشبه الصياح لولا ان تماسك في اللحظة الاخيرة وسكت ، ولكن بصره ظل عالقا في الناحية الاخرى من الطريق .

وحين نظرت لارى المنظر الذي استدعى «ياسر» لكل هذا الاضطراب لمحت امراة شقراء جميلة تقف عند دكان صغير تشتري لابنتها الصغيرة كيسا من الحلوى .

عرفت انه ينظر الى المراة الشقراء .. اذ لا شيء غيرها مطلقا يثير الانتباه نحو تلك الناحية من الطريق .

لم ادرك العلاقة بين «ياسر» وبين تلك المراة .. ومن اين لي ان اعرف من مجرد شك عابر راودني بسرعة خاطفة ..!

ولكنني ايقنت ان هذه المراة لا بد ان لها في نفس صاحبي اثرا..وقد تكون بينهما علاقة جزمت فجاة انها علاقة قوية وبعيدة المدى .

وقبل ان تتحرك المراة وابنتها في المسير تجاهنا كان « ياسر » يلتفت باسرع من لمح البرق ويتجه الى الشارع المعاكس ويفسح خطاه في اسراع مفاجيء .

وتركني اقف وحدي — حيث كان الى جانبي .. واقابل المراة الجميلة الشقراء لوحدي ، واستطعت ان المحها — حين صارت الى جانبي — بكل وضوح ، وبدت لي اجمل بكثير مما كنت احسبها منذ لحظات .

وظللت واقفا في مكاني اشيع المراة الشقراء ومعها ابنتها الى ان كادتا تختفيان عن بصري بين جموع الناس في الشارع .

وعدت اسير وقد امتلأت افكاري بحشود مختلفة من الاسئلة والخواطر المبهمة .. لماذا ، لماذا ، لماذا ..؟

وعند موقف الترام وقفت انتظر

حافلة تقلني الى منزلي في المهاجرين واذ ذاك رايت « ياسر » يهرع الي ويشير لي بيده وقد هممت بركوب الحافلة التي انتظر ..

وحين صار الى جانبي ، قال بلهجة اعتذار صاخبة :

ـ ارجوك اغفر لي سوء تصرفي. ما كان يجب علي ان اتركك هكذا .. ولكنني كنت مضطرا الى ذلك .. لن تستطيع ان تفهمني الان ، ولكن ارجوك ان تغفر لي ..!

ولم افهم ماذا يدور في خاطره ، وسألته وقد اخذت بيده وسرت تاركا موقف الترام ورائي ، وقلت :

ـ ماذا تريد ان تقول بالضبط يا ياسر .. ارجوك ان تثق بي ، انني صديقك وعليك ان تشاركني في افكارك وخواطرك وقد استطيع ان افعل من اجلك شيئا فأخفف عنك.!

فقال بلهجة صارمة شديدة :

ـ انا لست في مشكلة .. فقط اريد ان اعتذر منك ، فهل قبلت اعتذاري ..!؟

اجبته بقسوة اشد :

ـ بل انت في ورطة وتحسب ان جميع الناس حولك لا يستحقون ثقتك .. ماذا بك يا ياسر .؟ انا لن اقبل اعتذارك ما لم اعرف خبيئة نفسك ..!

ووجدت « ياسر » يحملق في ناظرا ، وكأنه يراني لاول مرة في حياته حين قلت له :

ـ وما علاقة تلك المراة الشقراء الجميلة باضطرابك واختفائك عني منذ لحظات ..؟

وامسك بذراعي ومشى مطرقا دون ان ينبس بحرف ..

وعرفت انه يستجمع ذاكرته وشجاعته معا ليقول لي ونحن نجلس في ركن منزو من مقهى صغير :

ـ « ... اسمها « امل » .. عرفنا بعضنا حين كنا في السابعة من عمرنا ، وحين كنا نسكن في حي واحد ..

وابتدات الاسطورة منذ تلك السن .. فقد قرر الجميع اننا سنتزوج حين نكبر ونشب ، وكنا ونحن صغارا ننتشي بما نسمع من اهلنا الذين ربطت بينهم رابطة صداقة وود قديمين .

واصبحنا نفكر بجدية الامر حين صرنا في السابعة عشرة .. احببتها بكل كياني ووجداني .. واحبتني كذلك بكل مشاعرها واحاسيسها.. وكانت تتألم لالمي وتشقى لشقائي.. وكنت اسعد لسعادتها وافرح لافراحها .

وكبر الحب معنا حتى صار امرا جليلا .. وعرف الاهل جميعهم بعلاقتنا ببعض ، واردت انا وامل ان نضع حدا لحبنا بالزواج الذي يضمنا في بيت واحد وخميلة نعيش فيها على الحب والهناء والسعادة .

وكاد يتم كل شيء لولا ان حال بيننا وبين الزواج امر !. »

وتطلع الي «ياسر» ولمحت الحزن في اغوار نفسه ، وكانت تلوح في مآقيه شبه دمعة سخية ، ان سقطت بللت الخدود وغسلت الآلام .. لذلك لم احل بينها وبين سقوطها .. نفسحت لها المجال حين سألته :

ـ وما هذا الخطب الجليل الذي حال بينك وبين امل ..؟

اجاب وهو يمسح دمعته السخية براحة كفه :

ـ « .. ظهر انها اختي.. رضعت معي منذ الصغر .. وسكت عن الامر الاهل المجرمون ، حتى تركوا الحب يفتك بنا دون علم منا .. وحين اردنا الزواج وقفت عقبة الاخوة بيننا وفرقتنا .. ووجدت نفسي اكره من حولي جميعهم .. وسئمت الحياة ، وحاولت ان اهرب من الواقع الذي عشت فيه طوال ايام حياتي.. وافلحت فيما سعيت اليه حين نقلت الى دمشق من درعا ..

ونسيت ذكراي .. ونسيت الاهل وابتعدت عن أمل .. الا ان الماضي لا يمكن نسيانه ابدا .. وظلت امل في حياتي نورا لا يخبو ولا ينطفيء وكثيرا ما اججت ذكراها في نفسي الما عميقا لا انام اليه الا بشق النفس.

اردت ان انتقم من امي التي انجبتني ، واردت ان اقتل ابي الذي اخفى عني الامر وتركني أتعلق بأمل لاخر لحظة .

ولكني كنت اضعف من ذلك بكثير .. فرحلت عنهم واقمت هنا بدمشق بعيدا .

ما اسخفني يا صديقي .. كنت اريد ان اجمع المتناقضات في حياتي .. هل سمعت مرة باجتماع الصيف والشتاء في فصل واحد.. او هل سمعت باجتماع الليل والنهار بساعة واحدة .. ام اليأس والامل في حياة مشتركة ..؟! كان علي ان اعرف أن اجتماعي بأمل من الامور المحالة في الحياة.. لانني كنت أمثل اليأس بعمق وبشاعة .

وليتني عرفت ذلك منذ زمن بعيد لكنت جنبت قلبي الالم والعذاب ..! »

كانت مأساة تلك التي مرت بصديقي « ياسر » مأساة اليمة من الصعب نسيانها .. وحين كنت استرجع ما قاله لي ، سألته :

ـ وامل ماذا جرى لها ..؟

قال مطرقا :

ـ تزوجت بعد وفاة والدها .. كانت قد نوت ان تظل عذراء لايمسها رجل بعد ان حالت بيننا جناية الاهل .. ولكنها وجدت نفسها وحيدة بلا معيل.. فتزوجت، وهي اليوم ام لاربعة اولاد .. تلك البنية التي شاهدت اصغرهم .!

قلت لياسر مبتسما :

ـ وانت الن تتزوج .!؟

قال : ـ ابدا فقد وجدت في ايامي ووحدتي العزاء .. وانا سعيد هكذا .. فوحدتي هي غايتي التي اريدها ان تلازمني الى اخر ايام حياتي .

وبعد تسعة ايام من جلستنا

وحديثنا في المقهى صدر امر نقل « ياسر » الى « حلب » فجأة دون علم احد منا بأن « ياسر » نفسه هو الذي طلب هذا النقل ..

وحين كان يودعني قال لي :

ـ سأترك دمشق لامل وزوجها واولادها .. وسأبتعد عن السعادة التي تجدها في بيتها وبين احبائها من الاولاد .. كنت سعيدا هنا بدمشق الى ان شاهدتها ذلك اليوم ـ حين كنا معا ـ وكنت اعلم انها في درعا حيث يعمل زوجها هناك..!

قلت له بحسرة عميقة :

ـ وانت الن نعرف عنك شيئا. ولماذا سوف ترحل ما دام قد انتهى بينكما الامر منذ سنوات ..؟!

اجابني وقد لمحت الدمعة الذكية تتأرجح في مقلتيه :

ـ لم ينته الامر بالنسبة الي .. واذا كان قد التأم الجرح القديم خلال هذه الايام الطويلة .. فانا لا اريد ان افتح جراحا جديدا برؤيتها هي وزوجها واولادها في كل مرة.. لذلك فقد فضلت الرحيل والابتعاد عن دمشق كلها .

وانتقل « ياسر » الى حلب .. ولم نعد نعرف عنه شيئا ، وانقطعت عنا اخباره .. وفرح بعض الزملاء بالمكتب لامر نقله .. فمنهم من فكر بارتياح لنقله وانقشاع الغمامة من افق المكتب الباسم وقليل منهم من آلمه رحيله .

الا انني لم استطع ان انسى « ياسر » ابدا .. لاسيما فيما ارى بين يوم ويوم امرأة جميلة شقراء يصحبها زوجها مرة .. أو تصحب اولادها مرات اخرى ..

وكنت في كل مرة المح فيها .. امل .. في شوارع دمشق ارى الاعناق متطلعة اليها في اعجاب لذيذ .. واعجب كيف يستطيع « ياسر » ان يعيش بلا « امل » ما دام يشعر بالحياة .. واتساءل في حزن عميق .. ترى كيف يعيش..!

حمص عدنان الداعوق

الكلمات

لولاك يا مظلمة النجوم فوق قارب المساء
لولاك يا نوافذي الخضراء ـ ما سعى لبابنا رجاء
حمائم الصباح لا تطير للشطآن جدولا من الضياء
لولا يا فراشة حزينة اعماقها اللهيب صوتها بكاء
حقولنا ترعرعت على مداك . ابصرت وجودها القرون
وذلك الانسان يا حبيبة الانسان كنت في طريقه عيون
عيناك امطرت لذلك الحزين
سقراط عانق الردى وقال انت تخلدين يا زوارق الحنين
لولاك كيف يعبر التاريخ او يكون
من الف الف تبحرين
رسوت الف مرة على شواطىء القرون
فتفرغين مرة ومرة تعبئين
كم صائد قرصان في بحارك الفساح لا يلين
يود من عينيك ان تخون
ومن ضميرك النظيف ان يكون
فيروزة على جبينه اللصيق بالوحل
وانت انت تهزئين بالدجل
ورحت تنثرين بالبذور للجميع
وتعلنين :
يا ايها الانسان لن تضيع
وطفلك الذي يجيء لن يجوع
لولا انت ما رات ما حولها الشموع
لاطفأت عيون فجرنا الدموع
لولاك ما سعت لبابنا الغابات والبحار والنجوم
ما امطرت لحقلنا غيوم
وحزننا العميق كيف كان يعرف الطريق
لولاك انت تحفرين مثلما انامل الصديق
فتنزعين عن وسادنا الاغماء والسهاد
ويختفي من الوجوه ذلك الرماد
وتصنعين في حقولك الخضراء اعين الشروق
لولاك يا حروفنا
يا ناي كوننا العتيق
ما غلف الحياة ذلك البريق
وكنت للوجود ذلك الصموت لا أطيق :

القاهرة محمد ابرهيم ابو سنه



وديع فلسطين

مع الصروفين .. يعقوب وفؤاد

بقلم وديع فلسطين

« يعقوب » في احياء مجد بلاده ... وبقاء تالدها من الابدال
هو فيلسوف سيرة وسريرة ... متطابق الاقوال والافعال
أدنى الرجال الى الكمال ، ولم يكن ... في العصر شيء مغريا بكمال

بهذه الابيات الاوابد وصف الشاعر الاكبر خليل مطران العالم الاكبر يعقوب صروف منشيء مجلة « المقتطف » ومعلم خمسة اجيال ، اذا كان قوام الجيل عشرة اعوام ، والموطيء الاول للعلوم الحديثة بلغة الضاد في عصرنا الحديث ، والمترجم الاول في النصف المتقدم من هذا القرن ، والراعي الاول لحرية لفكر وامانة العلم وحصانة الضمير في عصر تحالفت فيه امور ثلاثة هي : جهالة سائدة ، وغيبية متأصلة ، ورجعية مبيتة مقيتة، فكان على يعقوب صروف ان يجاهد في ميادين فكرية ثلاثة : فيبدد غيوم الجهل ، ويخضع للمنهاج العلمي امور الغيب الراسخات ، ويقتل الرجعية قتلا بطيئا بما يطلقه عليها كل مطلع هلال من اشعة عصرية كاشفة .

ولعل يعقوب صروف اكبر علم فرد في تاريخ النهضة العلمية والفكرية المعاصرة في العالم العربي . فقد قام بعبء « المقتطف » الجليل اكثر من نصف قرن ، وجعل منه بؤرة اشعاع ليس بين مفكري هذا العصر من لم ينعم بانوارها . ولكن ، هذه مفارقة مؤسفة ، لعل يعقوب صروف اقل مفكري العروبة المعاصرين حظا من التعريف والتقديم ، فلا كتب عنه كتاب براسه ، ولا افردت له دراسة منهجية ، ولا درس في جامعة ، ولا خلد بعمل من اعمال التخليد ، ما خلا بضعة فصول نشرت عقب وفاته في ايام المهرجان الخمسيني « للمقتطف » ، وما خلا اشارات وتنويهات في كتب الدراسة الادبية لا تغني ولا تنصف ، وما خلا ذلك التمثال المتواضع الذي نصب له في فناء معهد .

وكنت اعتقد ، وما زلت ، ان خير من يكتب عن الدكتور يعقوب صروف هو تلميذه النجيب الاول وخليفته في « المقتطف » وامتداد حياته واخلاقه وعلمه الدكتور فؤاد صروف . فهو بحكم القرابة والملازمة والتلمذة اعرف الناس بعمه الدكتور يعقوب صروف الذي كان « ادنى الرجال الى الكمال » كما قال بحق مطران ، ولكنه لم يكن ابدا « من الابدال » بعد ان ملأ فؤاد صروف مكانه وصار صنوه وبديله وناشر فضله ومذيع مآثره .

ولهذا طربت طربا شديدا وانا اقرأ الكتاب الجديد الذي اصدره الدكتور فؤاد صروف بعنوان « يعقوب صروف : العالم والانسان » ، لانه صفحة وفاء وولاء لرجل اعطى الناس كثيرا واخذ من عنايتهم واهتمامهم قليلا ، وعنوان تقدير لعلامة اثقل كاهل الضاد بفضله وعلمه وتراثه ، ولان هذا الكتاب ، على صغر حجمه ، سجل لحياة مثلى عاشها رجل فذ بين الرجال ، ومعلم شاهق من معالم النهضة العلمية والفكرية والثقافية في عصر العرب الحاضر . فقد جعل يعقوب صروف « المقتطف » جامعة ، وجعل ابواب « المقتطف » كليات جامعية ، وجعل كتاب « المقتطف » اساتذة جامعيين في وقت كانت العقول غير متفتحة لآفاق العلم الحديث ، وكانت اللغة العربية ضنينة في باب المصطلحات العلمية، وكان التزمت يقرن الفكر بالكفر ويشكك في صدق البحوث العلمية ، وكانت المعاهد الجامعية قلة .

وكثيرا ما ينسى الذين يؤرخون الفكر المعاصر ان يعقوب صروف رائد اول من رواد القصة ، وباحث فريد في العلوم الحديثة جميعا ، وواضع لمصطلحات علمية في كل باب . فقد عالج التاريخ ، وتناول امور الطبيعيات والفلكيات وعلم الحيوان وعلم النبات ، وكتب في السموم وخاض ميادين الادب ، وترجم الى الضاد ، وعلق على الكشوف العلمية ، وروى اخبار الحادثات ذات الآثار الحضارية الباقية ، واسهم في قضايا الفكر برأي صائب فيه شيء من الجراة وفيه كذلك شيء من التحفظ ، وسجل سير رواد النهضة ، حتى لكانه لكثرة ما كتبه من فصول في « المقتطف » ، قد اخرج موسوعة جامعة في مناحي الحياة والعمران جميعا ، صدرت اجزاؤها في غرة كل شهر على اكثر من خمسين عاما .

وعلى نفس هذا الدرب سار فؤاد صروف، ولا منازعة في انه من اكبر علماء العرب المعاصرين ، لا من حيث قوة

استيعابه للعلوم على تعدد اسمائها وأبوابها فحسب ، بل كذلك من حيث سبقه في معالجتها على مستوى يرضي خاصة الخاصة بدقته وصحته، ويرضي كذلك العوام(١) بسلاسته ويسره ، لان اسلوب فؤاد صروف هو من البلاغة والوضوح بحيث يفسر العصي من المباحث لكل قاريء ، بالغا ما بلغ حظه من الثقافة . ففؤاد صروف متعدد المآرب في دنى الفكر والثقافة جميعا ، لا يفرق عن عمه يعقوب صروف شيئا ، فهو يعالج السياسة الدولية بنفس القدرة التي يعالج بها الاقتصاد والعلوم والآداب. وهو يكتب في السيرة بنفس التمكن الذي به يكتب في العلم البحت .

فاذا كتب فؤاد صروف ، وتلك اعماله البينات في مجالات الثقافة والفكر ، عن يعقوب صروف ، وهاك فتوحه الظافرات في ميادين العلم والعمران ، فقد كتب عبقري عن عبقري ، واثنى عالم فرد على عالم فرد، ومجد عظيم عظيما .

وكأنما اراد فؤاد صروف ان يدفع عنه الحرج الذي استشعره وهو يكتب عن عمه ، فحشد في كتابه طائفة كبيرة من آراء المعاصرين في يعقوب صروف لتكون خير تزكية لهذا الفقيه الجهبذ ولتنفي عنه شبهة الهوى . ولكنه ، حتى في انتقاء هذه الاراء ، كان لا يقبلها على حالها ، بل يعقب عليها اما بالتأكيد والتأييد واما بالتحفظ والاحتياط ، حتى يكون الميزان في يده مكفول العدالة محقق النصفة . ولكنه اجمل حياة يعقوب صروف في آثار باقية ثلاثة هي : اثره معلما في باب المعارف والفضائل ، وأثره موجها في باب التفكير العلمي ، وأثره مجددا في باب اللغة العربية غير مفرط في اسرار عبقريتها . كما ابرز المشابه بين رجال اعلام كابن الهيثم وبيكون وديدرو وحنين بن اسحق وبين يعقوب صروف، وتكلم بكثير من الافاضة عن خلق منشيء « المقتطف » ووطنيته لايمان الصروفيين بأن المحامد الذهنية والعلمية لا تنفصل عن المحامد الخلقية والوطنية .

وان عيب على كتاب فؤاد صروف شيء ، فاكبر ما يعاب عليه ايجازه الشديد في عرض سيرة مشوقة لمفكر عظيم مثل يعقوب صروف واقتضابه في تبيان آثاره البعيدة المدى . فقد كان فؤاد صروف يكتفي بالرؤوس دون التفاصيل ، ويؤثر الايجاز على الاطناب . ولعل عذره في ذلك ان الكتاب في الاصل محاضرة القاها في مجمع ، وان للمحاضرة حدودا تفرض على ملقيها ان يختصر القول ويجتزيء في البيان مراعاة لوقت السامعين. فلئن امسك فؤاد صروف في كتابه بالخيوط الرئيسية وعرف الاتجاهات العامة في حياة يعقوب صروف وآثاره، فان في مجال الحديث عن منشيء « المقتطف » سعة من القول والبيان . واذا كان سامع المحاضرة ملولا بطبعه ، فان قاريء الكتاب غير ملول ، وغاياته من القراءة والدرس ابعد من غايات المستمع .

ولكن الكتاب مع ذلك ممتع موضوعا واسلوبا ومنهاجا وقد قرأته مرات ثلاثا ، وما زلت اجد لذة قصوى في استعادة قراءته لانه محفل فضائل ومجمع علم ومعرض بيان .

القاهرة وديع فلسطين

(١) لا اجد كلمة تؤدي معنى « Laymen » خيرا من كلمة «العوام»

أغنية أم

اتراه ناما ؟
أيصيح ماما ؟
ولدي
هو فلذة الكبد
هو من دموع يدي
اطعمته جسدي
أمسي له وغدي
هو لي
اطعمته قبلي
وسقيته املي
هو لي
ولدي
يده على كبدي
فمه على نهدي
يمتص من شهدي
هو لي
ولدي
اطعمته قبلي
وسقيته املي
علمي ومن جهلي
لما اهدهده
في المهد انشده
ما قال لي غده
وانا أمدده
جفناي مرقده
هو منتهى أملي
اطعمته قبلي
هو لي
ولدي
من هذه روحي ومن جسدي

بغداد صفاء الحيدري

الارض الثابتة

بقلم الانسة رينه عبودي

عواء كلب وصو تعجلات تمر ببطء وبحة مذيع اخر اخبار نهار امس ، ليلة تحرض على اليقظة القمر يزيد من نصوع احجار البنايات المقابلة ، الاشجار لا تكاد تحرك اغصانها ، وزوجتي تدعوني من حين الى اخر، من الغرفة الموازية للشرفة ، انها تذكرني بعمل الغد .

اني التهم السكون وانظر وبودي لو اطبع في نفسي صورة ما اراه ، الهواء يتخلل قميصي ويلفح وجهي لطيفا منعشا ، انا في شرفتي ، في بلدتي ، بين قومي .. هناك صوت ضفدع لا يتعب ، لا اعلم الى متى سيكون لي زوجة تناديني ودار لي وبلدة قد غرست وازدهرت فيها .. كل يوم يتغير مع الفرد ، الرغبات وترتيبها ، قد اشبه نفسي بورقة شجر تداعبها الرياح وتقذفها حينا ، ان ورقة الشجرة باتت مثلا متداولا معروفا جدا ولكني لن ابحث عن غيرها الان ..

الدنيا متحركة ، صح من قال هي متحركة ، انا لا اشعر ان الارض ثابتة الا بمثل هذه الليلة او بالاحرى هذه الليلة ولكن قبل اللحظة التي بدأ بها فكري يعمل ، اقدامي لم تعد ثابتة واذا بي اجد بورقة الشجر خير من يمثلني .

في هذا السكون الموحي بالوف الاشياء لا تظهر على سطح المياه الا التوافه من الافكار ، ان الدلو الذي اقذف به الى البئر لا يملك حبلا طويلا .

النجوم بعيدة ، السماء نظيفة مثل الشراع العريض ، وبدات غمرة من نور تبشر باقتراب الفجر ، الضفدع لا يسكت انه يكرر كلاما تتردد فيه حروف الكاف والراء ، وعادت زوجتي تدعوني، لست ادري لماذا لا تنام ، ان اطفالنا الخمسة قد ناموا في الغرفة الثانية وهي قلما تطيل السهر ، ولكنها الليلة تبدو قلقة علي او ربما هي قلقة فعلا ، تراني لا اكاد اجيب على كلامها ، تظنني مذ تسلمت عملي الجديد وقد فتر اهتمامي بها ، ولكني احب زوجتي ولو انها كالضفدع هناك ، تكرر وتكرر نفسها ، اسأمها احيانا ولكن حين اعود متعبا مجهدا وتقبل علي بحنانها اجد ان لها طعم الخبز .

تدور حولها في مخيلتي افكار لو عرفتها لكان اقل ما تصنعه هي ان تصفعني ولكنها مع اعمالها اليومية والمسؤوليات الملقاة على عاتقها لم تعد تجد من نفسها نشاطا كافيا للبحث والتنقيب عن هذا الشخص الذي يجاورها والذي هو انا،اعتادت ليلى تصرفاتي وقبلتها بدون رد ، واني اتصور انها الان لا تنام لانها قلقة علي ، هي في الحقيقة تدعوني كما تدعو حميرا او فائزا الى النظام، اما عن اهتمامي انا بها ؟ فاشك ان يكون اكثر من ذلك .

ان هذا ما دفعني الى هدى حين دخلت من شهرين الى مكتبي الجديد وتوسلت الي ان اسرع في قضية تخليص الارث حتى لا تتدهور اكثر حالة عائلتها المالية ، وعلمت فيما بعد بانها كانت تكذب وان حالةالعائلة ليست كما وصفت ، ولكني احببت وسيلتها للتقرب مني ، واعجبتني خاصة ، نظرة العبادة التي كانت تطفح منها ، يشتاق المرء ان يكون اكثر من انسان عادي،ولم تكن هدى جميلة ولكن تلك الرقة والكذب



المتواصل اغراني في المتابعة ، ولم تشك ليلى ، واحيانا كنت اراقبها لعلها تشك في امري ولكن ليلى لم تعد تطالب بالمزيد ، كأن فترة الحب عندها انقطعت بعد عامين من زواجنا انها تشعر بانني لها كما ان اولادها لها ، انها تحيطنا في البيت بشخصها فالدار نظيفة والطعام معد والسكينة موجودة وثيابنا مرتبة واننا في الحي نضرب مثلا ، اجل مثلا من حيث حسن السيرة ..

ولا عجب ان كنت اجد في عملي واولادي طموحا واوسع من امكانياتي في العمل سنة بعد اخرى وخصوصا ان شخصي كان يوحي بالثقة ، الى ان اقبلت هدى بشعر منسق ووجه كله اصباغ ودخل عنصر لم آلفه في حياتي ، ومن الغريب انني احببتها، لا اقول احببتها بقوة وعزم خقا وانما هكذا ترفا : « ومن الغريب انني احببتها » .

ان زوجتي غادرت الغرفة الى الشرفة الى حيث اقف .

ـ ان القمر جميل الليلة

قلت : اجل

ـ لماذا لا تنام ؟

قلت : ان القمر جميل كما قلت

ـ ان الصغير يتقلب كثيرا الليلة

قلت : ان الطقس حار

ـ ربما

صمتت زوجتي وصمت انا وفجأة سمعت صوتها ممزوجا بالضحك يقول :

ـ هل تعلم ؟

قلت : ماذا ؟

ـ لو كنت في الشرفة المقابلة هناك ، ولمحت هذا الشاب الذي يقف ذاهلا هنا ..

قلت : نعم وبعد ؟

ـ لاحببته اعني لاحببتك

ورنوت اليها وكان شعرها غير مرتب فبدت لي فتاة صغيرة يود المرء ان ..

وقربت وجهها الي وقبلته وقبل ان اقول لها كلمة حلوة ، صاح

قصة قلبي

كان الدمـــاء الدافية هواه في اعراقيـه
كان الرؤى ، وفرحتي وكل شيء عنديـه
كـان حيـاتـي كلها وعزتي وذليـه
هبت رياح فرقت مـا بينه ، وبينيه
قضيت عاما موحشا من بعده في صمتيه
ابحث عنه حائرا مغتربا في يأسيه
فلم اجد من اثر له سوى خياليه

بعد سنين اقحطت تنهد في وجوميه
اقول في نفسي عسى لعل يأتي ثانيه
كادت ينابيع المنى تنضب في اعماقيه
وكاد يطفي بالاسى ريح البعاد نوريه
لا نجمة من أمل تطلع في سمائيه
ولا صديق مشفق أبثه الذي بيه
الا الضباب ضاربا اطنابه من حوليه

عاد الي صوته يهز روحي ثانيه
احسست اني عنده افيق من اغمائيه
وان شوقا في دمي الى شموس زاهيه
أحببت ان اكون فيحشد الجموع الداويه
في غمرة الضياء تنساب نهوراصافيه

حيث النفوس تنجلي عن الرغاب الخافيه
يعكسها صراعهم على الحياة العاتيه

خرجت من بيتي على وقع الاماني الشاديه
كأنني اخرج من قبري لاحيا ثانيه
الارض في ميلادها تحبو الى الثمانيه
كأنها الخليج في الضحوة في بلاديه
اورق قلبي وانتشت روحي ورفت هانيه
عبر مدى ملون تشربه أعماقيه
خمرا وتقتات به زادا وتغفو راضيه

ثم انطلقت حاملا في اضلعي اشواقيه
عبر الشوارع التي أحببتها من روحيه
يمر بي كغيمة العابرون مثليه
شعرت اني فيهو اذوب روحا حانيه
في أضلعي خلق هنا يموج في اهابيه
أم ، وطفل ظامئ وعندل وداليه
ونجمة على المدى وحيدة وداعيه
أودوا بروحي كلهم كان الردى انتصاريه

كمبردج ـ انجلترا **أحمد امين**

صفيرنا بحرف العين على اختلاف علوها وانخفاضها ، فقفزت ليلى اليه مسرعة وحين دخلت بعد نصف ساعة الى غرفتنا وطفلنا الصغير على ذراعها كنت اراقبها بعين نصف مغمضة واردد لنفسي : لا بأس ستأتي الى الموعد هدى ، غدا.

وقالت ليلى : محسن يجب اخذ الطفل الى الطبيب ، غدا .

وحاولت ان لا افهم ، ان اغفو على موعدي منتقما ، ولكن صورة تحركت في خيالي لطفل هزيل شاحب ، صمت عن الصياح ، عن اللعب ، صورة اصغر اطفالي ، هذا الذي تردد ليلى بانه اكثرهم شبها بي ، بل انه صورتي عينها ، ونهضت مسرعا من سريري

ـ لقد اخفتني

قلت : سنأخذ الطفل الى الطبيب غدا

قالت زوجتي: من قال عكس ذلك؟

ثم لاحظت بانها تضحك وقبل ان افيق من دهشتي لقيتها تضع الطفل على السرير وتضم رأسي اليها ولم اعد اشعر ان الانسان كورقة شجر وانما هو اقوى من ذلك ، انه يعيش على ارض ثابتة ..

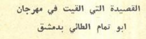
وعدت اسمع ضحكها .

حلب **رينه عبودي**

الشاعر الفنان



عدنان مردم بك



القصيدة التي القيت في مهرجان
ابو تمام الطائي بدمشق

يبلى الشباب على الزمان وينفد … وشباب شعرك خالد يتجدد
شيدت من سحر البيان عوالما … فيها الشوارد من قصيدك فرقد
تتقادم الدنيا وما ابدعته … باق على كر الدهور مخلد
في كل بيت من قصيدك تجتلى … دنيا ويعصف زاخر ويعربد
وتضوع جنات بأعراف به … وحياله تلقى الضحى يتوقد
لفظ كأفواف الربيع على الربى … عن مثله يعيا الصناع ويجهد
ينهل انغاما تلذ لسامع … كحرافة الصهباء او هي اجود
لفظ له من جرسه قيثارة … عزفت وشاد في المسامع ينشد
وله بكل سريرة من قارىء … دون الاضالع عازف ومزغرد

حلقت في أفق البيان الى مدى … ما جازه في السابقين مجود
وعلوت تضرب بالجناح محلقا … كالنسر في عالي الفضاء وتصعد
حتى اتيت من البيان بشاهد … عن ليلة الاسراء قام يؤكد
وقبست من نار (لموسى) موهنا … سطعت فخر لروعة يتشهد
شعر من الاسراء يعبق عرفه … ووشائج القربى العريقة تشهد
وتكشفت صور البيان ولم تكن … لسواك تسفر عن رضا او تخلد
وانثالت الالفاظ يزخر غربها … كاليم يزخر غربه المتوعد
تختار منها كل لفظ نجره … حر وترمي بالهجين وتطرد
وكأنما المعنى رمى بقياده … وأتى اليك مسلما يتودد

الشعر عندك صنعة من دونها ... جسد يذوب واكبد تتصعد
ودراية كانت ونظرة ثاقب ... لا تخطىء الاغراض حين تسدد
بالجهد والصبر الممض على الدجى ... شيدت صرحا لا يطاوله غد
متمكن كالطود لا يذري به ... ما كر من حقب تطول وتبعد
اي الروائع لم تكن مسطورة ... بدم يمور ومدمع لا ينفد
الفن جهد العبقري ولم يكن ... بسوانح في خاطر تتردد
من دونه تشقى النفوس وتكتوي ... بلواعج محمومة تتوقد
عبء على الكتفين ليس بمنقض ... وحزازة كالليل لا تتبدد
والفنّ لا يؤتي الثمار لفارس ... ما لم تغص من المشقة اكبد

دول تمر كبارق في خاطر ... وممالك طويت واقفر معهد
واذا الخلافة سيرة عن غابر ... تروى وانباء تقص وتنقد
واذا الملوك حكاية يغشى بها ... متحدث والنفس فيها تزهد
وارى بيانك يستجد قديمه ... ما حن الف او تشوق مبعد
ما يوم (عمورية) وجلاله ... لولا جلال الشعر شيء يخلد
هل كان الا مشهدا لرواية ... طويت وعفاها الزمان الانكد
وتناثرت بددا وما ابدعته ... من روعة الاعجاز باق سرمد
شاخ الزمان حياله وشبابه ... متجدد لألاؤه لا يخمد
زاه كأول عهده متألق ... ملء الضمير ككوكب يتوقد

حققت في فتح الفتوح رسالة ... آياتها وضاءة لا تجحد
وخططت للشعراء فيها منهجا ... كان المعين لهم ونعم المورد
وجلوت كل خفية من هاجس ... في الصدر يوري جمره المتوقد
واتيت بالمعنى العسير فلم يفد ... دون الذي تبغي عسير مجهد
ونشرت ما سدل الزمان حياله ... ستر العفاء وما الحوادث تغمد
ما يوم (عمورية) الا الذي ... غنيته وجلا البيان المفرد
صورت شيئا معجزا ونظمته ... سورا يرددها الزمان ويسرد
تغضي لروعة ما وصفت نواظر ... وتغص اكباد وتشجا حسد
واراك بالاعجاز انطقت الثرى ... حتى ابان بما يكن الجلمد

لله انت مواسيا في حالك ... حين الشدائد ليلها يتلبد
تبكي المروءة مشفقا من لوعة ... تذر الخدود من الجوى تتخدد
واراك تطنب بالمكارم صادقا ... وتشيد في مدح العلى وتشيد
حتى جعلت من العطاء شجاعة ... تذري بكل شجاعة وتندد
ورأيت في الاقدام يأتيه الفتى ... جودا له ثغر الزمان يزغرد
للمجد ما غنيته من مطرب ... او ما هتفت مواسيا تتجلد
قلب بحب المجد فاض حنينه ... وانهل يبرق كالغمام ويرعد
ما ضاقت الفصحى بمعنى شامس ... ما راضه متمكن ومجود
تعطي القياد وتستجيب لفارس ... طوعا وتجمع بالدعي وتشرد

دمشق

عدنان مردم بك

مصطلحاتنا في الادب والتربية

بقلم محمد رضى الشبيبي

تراثنا القديم من المصطلحات في كل علم او فن تعاطاه اجدادنا الاولون او الموا به تراث قيم ثمين خليق ان نعتز به وان نعنى بتمحيصه ودرسه . والتنقيب عنه في مظانه وذلك بغية الاستفادة منه والتعويل عليه لصد تيار المصطلحات الاعجمية او الاجنبية الذي اغرق اللهجات العربية في العصور الحديثة بل افضى الى كثير من الاضطراب والبلبلة في المواضعات المصطلحة .

يتقاضانا الانصاف ان نقول هناك عدد ضخم من المصطلحات الحديثة الشائعة في علوم أو فنون لم يحط بها اجدادنا علما ، وكم ترك الاول للاخر من ذلك مثلا مصطلحات الصناعة الحديثة والفنون الآلية الى كثير من فنون الحضارة التي تتجدد حينا بعد حين . فليس من السهل رفض مثل هذه المصطلحات الحديثة بالجملة وليس من الهين قبولها كذلك بالجملة فهذه هي مشكلة المصطلحات اليوم ، وليس من المتعذر حلها مع الجد والاجتهاد وليس من المستحيل تيسيرها بتطبيق بعض الاصول اللغوية كأصل التعريب وأصل الاشتقاق .

لدينا نوعان من مصطلحات العلوم والفنون .

الاول : مصطلحا تعلوم اصيلة في اللغة العربية مثل مصطلحات الفقه والشريعة ومصطلحات الاصول وعلم الحكمة والكلام ومصطلحات اخرى وعن علم النفس والتربية ومصطلحات التاريخ .

والثاني : مصطلحات علوم دخلية نقلت الى اللغة العربية ودونت فاندمجت فيها على وجه اصبحت من قبيل تلك المصطلحات الاصيلة ومن هذا النوع تراثنا الاسلامي الاصيل. من مصطلحات الفنون الطبيعية والرياضية والفلسفية التي نقلت الى العربية وهي مصطلحات قيمة لا يجوز التفريط بها وانما يجب التنقيب عنها في مظانها ويتحتم درسها وتمحيصها للاستفادة منها في نهضتنا العلمية الحديثة ولا معنى لاقتباس المصطلحات الاعجمية الحديثة بدون قيد أو شرط نقو ل لا معنى لذلك الا العجز والتقصير والا التبعية والتقليد . هذه كلمة عامة في مشكلة المصطلحات تليها كلمة اخرى خاصة بمصطلحاتنا في الادب والتربية .

مصطلحاتنا في الادب والتربية

تعني كلمة التربية في اصل اللغة : انشاء الشيء حالا فحالا الى حد التمام يقال : ربه ورباه تربية ، (فالرب) مصدر يستعمل للفاعل و (الرباني) بزيادة النون كجسماني قيل : هو منسوب الى الرب الذي هو المصدر، وقيل منسوب الى « الرب » اي الله تعالى . قال الامام علي (انا رباني هذه الامة) وفي حديث اخر مشهور للامام علي : (الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق) .

وقيل الرباني لفظ سرياني الاصل ورجحه الراغب في مفرداته قائلا : قلما يوجد مثله في كلام العرب .

و (الراب) بالتضعيف ومؤنثه (رابة) اختص بمن يتولى تربية الولد (وربائيكم اللائي في حجوركم)وربيت الاديم بالسمن والدواء بالعسل ، وسقاء مربوب ، وربيت الولد مخففة ــ فربي ، كربيته فتربي .

ويلاحظ مما تقدم ان العرب لم يتجاوزوا في استعمال الكلمة لغويا نطاق الاشياء الحسية او البادية كتربية الولد والزرع والاديم والسقاء والدواء وما الى ذلك .

ولم يعرف عن العرب الخلص قبل الاسلام وبعده في عصوره الاولى استعمال هذه الكلمة بالمعنى الاصطلاحي الحديث وهو تقويم النشء واعدادهم اعدادا خلقيا او روحيا خالصا ، وان شاعت كلمة التربية بعد ذلك في كلام بعض طبقات المتصوفة وفي عصور الدولة العباسية الاخيرة ، ويكثر الغزالي من استخدام لفظتي « التربية والتعليم » في كتبه ويعني بايراد شواهده على تربية الانسان من سير التربية في بعض الكائنات الاخرى كالنبات .

عني العرب والمسلمون عناية عظيمة بالتربية وتهذيب الاخلاق وتقويم السلوك . ولكنهم لم يطلقوا على ما عنوا به من هذا القبيل لفظة التربية بمعناها الشايع المعروف وما من شك ان القوم استخدموا كلمة خاصة او اكثر في هذا الباب . فماذا كانت الكلمة ؟

في جواب هذا السؤال نقول : انها كلمة «الادب» .

الكلمات في معجمات اللغة

وقد عرفت كلمة الادب بمعناها التوجيهي او التهذيبي او الخلقي في عصور الجاهلية ثم في صدر الاسلام اي

انها عرفت بمعنى الرياضة والتهذيب والتخلق بمحاسن الاخلاق .

اذا راجعنا مادة ادب فى معجمات اللغة واذا تأملناها فى رسائل المترسلين وفى دواوين الشعراء علمنا انهم يقصدون بها ما يقصد بكلمة التربية فى العصور الحديثة فطورا تقول معاجم اللغة : الادب ملكة تعصم من قامت به عن السيئات، وتارة يقال هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وقال ابو زيد الانصاري : الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان : وفى قول بعضهم هو استعمال ما يحمد قولا وفعلا ، وفى شرح ادب الكاتب : الادب فى اللغة حسن الاخلاق وفعل المكارم ، واطلاقه على علوم العربية مولد حدث بعد الاسلام ، هذا ومما يعزز رأي من يرى ان معنى الادب فى اصل اللغة غيره فى اصطلاح المحدثين وانه يعني التهذيب والتخلق بمحاسن الاخلاق انهم جعلوا هذا النوع من الادب – بمعناها التربوي – قسيما لنوع آخر من الادب فقالوا : ادب النفس وادب الدرس ، ويعنون بادب النفس التهذيب والتربية بلا شك وبادب الدرس البحوث والدراسات العلمية .

وما اكثر الكتب التي صنفها المسلمون فى الاخلاق وتهذيبها ورياضتها وفى علم السلوك فاختاروا لتسميتها كلمة « ادب » ومن ذلك « الادب الصغير » لابن المقفع ، وقد استعلمت كلمة الادب بمعنى التربية بالضبط فى رسائل الطبقة الاولى من ائمة الادب ، وهكذا فى بعض مصنفات الفلاسفة الاخلاقيين كما نراه فى كتاب « البيان والتبيين » .. وغيره من كتب الجاحظ وفى رسائل اخوان الصفاء وبعض كتب الفارابي وفى كتاب تهذيب الاخلاق لمسكويه وفى رسائل اخرى له ، وهذا ابن عبد ربه عقد فصولا فى « العقد الفريد » ذكر فيها العلم والادب، ويلاحظ انه قصد بكلمة الادب ما يرادف كلمة الاخلاق وحسن السلوك .

مدلول كلمة الادب فى الاصطلاح

وهذه الكلمة لم تطلق فى الاصل على علوم اللغة العربية المعروفة ولا على البراعة فى النظم والنثر ، واطلاقها على هذه المعاني مما احدثه المولدون فى اواخر عصور الامويين واوائل عصور العباسيين فاصبح للادب فى عرفهم معنى او اكثر فتراهم يقولون مرة : الادب ما يحترز به عن اللحن فى كلامهم ، وتارة يقولون : انه عبارة عن الاجادة فى صناعة النظم او النثر ، يعني انهم عرفوا الادب مرة بوسائله وادواته من علوم العربية وطورا بثمرته وغايته وهو البراعة فى المنظوم والمنثور .

عقد ابن خلدون فصلا عنوانه : « علم الادب » قال فيه : هذا العلم لا موضوع له ينظر له فى اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته ، وفى هذه الكلمة يقول نقلا عن ائمة الادب : الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارهم والاخذ من كل علم بطرف ، يريدون منه علوم اللسان او العلوم الشرعية وسمعنا من مشايخنا فى مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب والكامل والبيان والتبيين وكتاب النوادر ، وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها ، هذا ما قاله ابن خلدون فى الفصل المذكور ، ويحسن ان نشير الى ان مدرستنا الحديثة حذت حذو القديم ، فاطلقت هذه الكلمة على علوم اللغة العربية مع توسيع فى مناهج البحوث على الاساليب المتبعة فى معاهد الغرب ، ومن ذلك الحاق (فن النقد) ودروس الادب المقارن فى برامج بعض المعاهد العالية مما لا نعهده فى مدارسنا القديمة .

وقد جعلوا لكل مسلك او حالة او عمل او منصب « ادبا » وصنفوا في ذلك التصانيف مثل «ادب الفتوى» و « ادب المستملى » خاص بادب رواية الحديث وسماعه وادب الخلوة وادب البحث وادب المريدين وادب السلوك الى غير ذلك .

نوهوا كثيرا بمضمون كلمة « ادب » وبمؤدى هذه اللفظة وتمدحوا بما تعنيه فى كلامهم نظما ونثرا ، وقد مر بنا ما فيه الكفاية من اقوالهم المنثورة : واما الشواهد الشعرية فربما أوفت على شواهد المنثور ، ومن ذلك وهو لا مرأة ضربها ولدها .

اكنيه حين اناديه لاكرمه ... ولا القبه والسوأة اللقبا
كذاك ادبت حتى صار من خلقي ... أني وجدت ملاك الشيمة الادبا

أبو نواس :

في فتية كالسيوف هزهم ... شرخ شباب وزانهم ادب

بشار :

واخ لي ثقة آخيته ... ماجد الاعراق مأمون الادب

أبو تمام :

نرمي باشباحنا الى ملك ... نأخذ من ماله ومن ادبه

وله ايضا يعتذر عن الشيب :

ولا يؤرقك ايماض القتير به ... فان ذاك ابتسام الرأي والادب

ولـه :

ان يفترق نسب يؤلف بيننا ... ادب اقمناه مقام الوالد

المعري :

كلم كنظم لعقد بحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت حبابه
فتشوقت شوقا الى نغماته ... أفهامنا ورنت لى آدابه

بغداد — **محمد رضا الشبيبي**

ساعة حب

.. مصرية فاتنة ، كانت هديتي اليها قبل الفراق ساعة ذهبية ليس اجمل منها الا معصمها الجميل

عانقي المعصم الجميل .. وبوحي بالذي وشوشتك اسرار روحي
وشوشيها عواطفي .. وغرامي اسمعيها دقات قلبي المروح

انت يا ساعة الحبيبة بثي شوق قلبي .. اذا ضممت يديها
قبليها فطالما لثمتها ... نظراتي .. اذا خطرن عليها
حدثيها عن لهفتي .. ولتكوني .. مثل قلبي اذا تغنى لديها
ولتظلي على المدى في خفوق ولتثيري الاحساس في اصغريها

وشوشيها تنهداتي وحسي حدثيها عما يخالج نفسي
ذكريها بأمسيات عذاب لم ير الحب مثلها عهد انس

بت بالامس قرب قلبي يغنيك فبوحي بعاطفات شعوري
فلقد بثك الهوى والاماني في جلال الظلماء والديجور
بات يحكي فان وعيت فبوحي او فظلي كحضني المهجور
ولتظلي مدى الفراق كقلبي دائب الخفق مثل شدو الطيور

عانقي معصم الحبيبة يا ساعة اني عانقتها منذ امس
في الضفاف الفناء كم رافقتني وتسامى احساسها مع حسي

وعلى النيل كم مساء سبحنا ومن الشوق كم غزلنا الاماني
امسيات غيرن حالي وقلبي ومن الشوق قد خلقن كياني
وفرشنا الدروب بالورد والازهار حتى توهنني في حنان
وغزلن الدنيا الفسيحة بالاشواق فانساب في رباها جناني

كم تمنيت ان يعي امنياتي ،ابد الدهر ، في الربى ، غصنان
فاذا ما مشى النسيم اقشعرا وافاضا في الذكريات الحسان

واعادا على الروابي حكايا ... حبنا .. حبنا الحبيب الابيد
فانتشى الطير في جنان ووجد اطربته ايام حب سعيد
وسرى النيل هادئا يتهادى يمنح الخير في سخاء وجود
وروى الحب للسواقي غناء فاذا الارض ازهرت بالورود ...

ذلك الورد حبنا وهوانا ليس يذوي ما دام يخفق قلبي
وهو كالوهم سائر في وجوم ليس يحييه غير ساعة حب

ذكريها احلام عمر عزيز كرؤى الفجر في جفون الظلام
واذا ما مضى الزمان فحسبي ان تعيدي في حلمها ايامي
وليكن وقعك الجميل غناء فيه معنى محبتي وهيامي
وعجيب ان الجماد يغني اغنيات الهوى وبوح الغرام

تونس — **نور الدين صمود**

اليـــاس فيـــاض

نشر في عدد كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ من مجلة الاديب

بقلم كرم ملحم كرم

عاش كما يعيش التائه ، لا يستقر على حال ولا يقر له قرار

كانما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء لله يذرعه

فبينما هو في لبنان اذا به في مصر ، ولا يطول به المقام في مصر حتى يغادرها الى لبنان ، ويشتغل بالمحاماة فينأى عنها . ويميل الى الصحافة فيملها . ويقرض الشعر ثم يهجره . ويتولى القضاء فيدعه غير مأسوف عليه . ويتولى شؤون المعارف اللبنانية ثم يجلو عنها ليكون وزيرا فنائبا . وكانت النيابة خاتمة المطاف .

وفي اعماله كافة عاش بلا نظام . في بيته وبعيدا عن بيته . واذا جالسك فلا تطول مجالسته وقد نهض ليميل عنك الى سواك . فما طال جلوسه الى سوى المنضدة الخضراء . فهو اليها منذ المساء حتى الصباح . واذا اضطره الامر ظل جالسا من المساء حتى المساء . فكان فيها من السحر ما يجذبه اليها ويقيده بها ويشد منه الوثاق .

نشأ كما ينشأ الاديب . ولقد نشأ يوم كان الادب معروف الاركان والفتيان . فلا دخلاء فيه ولا دجالون لا ادعياء ولا افاكون . فكانوا نخبة من الرفاق يتناشدون الشعر ويتجاذبون نوادر الشعر . هذا ينصر البحتري وذلك يؤيد المتنبي . هذا معجب بعمر بن ابي ربيعة وذاك بأبي نؤاس .

والياس فياض كان من المعجبين بالمتنبي لمتانته وقوته . فالمتنبي الضخم الالفاظ ، الفخم الديباجة ، الناطح السحاب بقوافيه كأنه يبني بقصائده ناطحات السحاب ، سيد الشعر والشعراء بلا منازع لدى الياس فياض وهو البحر الذي يغرف منه العطشان والريان .

ولم يكن يميل عن ابي نؤاس . فالشعر في ابي نؤاس يقال لينشد في مجالس اللهو والطرب ، بل في كل مجلس . وانه ليفتن لب سامعه ، على حين ان في المتنبي ما يدعو الى امتشاق الحسام .. او العصا ...

اجل ، نشأ الياس فياض في بيئة فتنها الادب فأمست له بقلبها ودماغها . فهو حديثها الاوحد ومشتهاها الاسمى . وكانت تنسى احيانا ان في الكون شيئا غير الادب عليها ان تنصرف اليه .

وتجمع الحلقة الشيخ اسكندر العازار ، والياس فياض ، ونقولا فياض ، وجرجي نخله سعد ، وطانيوس عبده ، وباترو باولي ، وجرجي باز ، وقسطنطين يني ، وجرجي شاهين عطية ، ومصطفى الغلاييني ، وفئة لا تعد ولا تحصى من الرفاق . واي كلام يتبادله هؤلاء غير الشعر والادب ، ومداعبة جرجي باز ، ابن خلكان هذا الزمان ؟

الياس فياض المحامي

ومال الياس فياض الى المحاماة . وقد يكون اكره على هذا الميل فهجر لاجله بيروت الى مصر . ولكن في مصر اتسع امامه مجال الادب فيه . وماذا فعل بالمحاماة ؟.. اتقنها ونال بها شهادة ناطقة ، الا ان شغفه بلادب زاد على شغفه بها ، فكان تهتك بشار بن برد ابهى لديه من مبتكرات ابي حنيفة في الشرع والفقه .

وماذا استفاد من المحاماة ؟.. لم يكن يستفيد شيئا . فلم يشعر بفائدتها الا بعد الاحتلال الفرنسي وقد عاد في سنة ١٩١٩ الى مسقط رأسه بيروت وكان من قضاة محكمة التمييز اللبنانية . بيد انه لم يحفل بما يفرضه منصبه عليه ولم يكن ذا همة وجلد ، كأن العمل يضنيه .

وتراكمت عليه الاعمال في القضاء وما انجزها . وهناك من يعرفه . هناك شارل الدباس . ففي كل واد اثر من ثعلبة . والدباس نسيبه . ولم يكن هذا النسيب غافلا عما بلي به الياس فياض من تهاون فصرفه عن القضاء . الى اين ؟.. الى منزله . ومنذ ذلك الحين بدا عهد البؤس والشقاء .

ماذا فعل في مصر ؟

لا ، لم يشتغل الياس فياض بالمحاماة في مصر وان يكن قصد اليها للاشتغال بهذه الحرفة القاضية على من يمارسها بالصبر والمطالعة . والياس فياض ينفض ثوبه

ويده من هاتين الحليتين . عدا ان الفئة التي اختلط بها لم تختلف عن الفئة التي عايش في بيروت . فكان هناك نجيب الحداد ، والشيخ يوسف الخازن ، وسليم سركيس ، وانطون الجميل ، وداود بركات ، وطانيوس عبده نفسه ، وامين تقي الدين . وهؤلاء لا يكترثون للقانون ، فكيف يكترث له الياس فياض ؟

وماذا فعل اذا ؟.. اشتغل بالانشاء . فاعتكف على تحبير الصحف ، ونظم الاشعار ، وكتابة الروايات التمثيلية . ولم يفلح في انشاء الصحف مثله في النظم وترجمة الروايات للملعب العربي وهو ليس صحفيا بالفطرة ، ان هو الا شاعر اديب ، ومن الصعب على الشاعر ان يكون طويل الباع في الفن الصحفي والامر من جهاته كافة مغلق عليه. فمن يهيم بهوميروس، وفرجيل، وابي الطيب ، وشكسبير ، وراسين ، لا يبرع فيالانشاء السياسي ويضارع فيه من نشأوا عليه ليمارسوه .

والياس فياض على شغف بالراحة فكيف يكون صحفيا والصحفي جندي لا تغمض له عين ؟.. ومن الادلة على ولوعه بالراحة انه لم يكن يبرح فراشه . فاذا استطاع ان يقضي فيه الليل والنهار فعل . والامثال تضرببميله الى الرقاد . ومنها انه قلب ذات يوم في سريره من جنب الى جنب والتفت بعد هذا العناء الى صديقه الشيخ يوسف الخازن يقول له : صحيح ، الانسان طير بلا اجنحة !

وادركه الافلاس في مصر وعزم على الانتحار . واذاع في اخوانه انه سينتحر فجزعوا . اينتحر الياس فياض؟

واتفقوا على ان يجمعوا له المال ليدفعوا عنه الفكرة المشؤومة . وراى احدهم ان يسأله : وكيف تنوي الانتحار ؟

فكانجوابه مبتكرا. وكان للنساء في جوابه شأنعظيم.

وكان يحتكر جوائز « سركيس » باشعاره . فلا تقيم مجلة « سركيس » مباراة شعرية حتى يظفر منها الياس فياض بحصة الاسد .

ومن هذه الجوائز انه خطر لسليم سركيس ان يقترح على الشعراء هجوه بلا مقابل ، فلم يكترث احد لهذا الهجو المسخر . وجاء من يدفع بدل الجائزة فشمر الياس فياض عن ساعد الجد وقد اغراه المال فنظم في سركيس قصيدة يهجوه بها نالت الجائزة قال « يطنب » في « مدح » صديقه :

عجبا تحاول ان تنال هجاء   أتراك قبل اليوم نلت ثناء
ابن « المشير » واين ايام مضت   فيها ملات الخافقين عداء ؟
أنسيت تلك الحرب حين أثرتها   وحملت تلك الحملة الشعواء
اذ تستعير من الجياد براعة   ومن السلاح وقاحة وبذاء
واذ الورى يتجنبونك مثلما   يتجنبون العنزة الجرباء
واذ اسمك الملعون كاف وحده   لينيل لافظه العذاب جزاء ؟
يا ويح ذا القلم الذي جردته   لو كان سر بقدر ما قد ساء
يا ويح ذا الادب الذي اعطيته   لو كنت قد اعطيت معه حياء
واليوم لما تبت عما قد مضى   ونبذت تلك الخطة العوجاء
فمن الذي يبغي ودادك بعد ذا   ومن الذي يرضى الوداد رياء؟
اما انا فعلى كلا الحالين لم   ابرح اريك مودة واخاء
لكنني لا استجيد لك الثنا   الا اذا ضاعفت لي الاعطاء
فهجاء مثلك ليس فيه تكلف   وارى مديحك كلفة وعناء !

وهي ابيات لم يرسل الحطيئة على هجوه اللاذع بما هو اوجع منها وادمى. فكأن الياس فياض تذكر صاحبنا القديم وهو يصوغها فجاء مع عفة في القذع بما لا يتفوق عليه فيه دعبل وبشار . فان هجوه يخلو من هجرالكلام وفحشه وقد جاء لا متعهرا ولا فظا سمجا . فان ثمة مداعبة اكثر منها ثرة ومثلبة . والياس فياض على علائه لم يكن فاحشا في قوله وهو ممن اعطوا في القول لينا لا فجاجة وغلاظة .

وشعر الياس فياض بكامله يدل على طبع صاف نقي وعلى فطرة صقلها التهذيب والصدق . فلا تكلف ولا رثاء ولا جهد والشاعر اطلق لسانه على سجيته الخالعة عليه طيب السريرة ، فصب منظومه عفوا ، بلا تلوين ولا زخرفة ، والشعر لديه ما جادت به النفس بلا كد ولا عصر يطفو عليهما الانتفاخ ويمتزج بهما حب الظهور .

ولالياس فياض فلتات شعرية ترفعه الى طبقة جليلة بين الشعراء بيد ان شعره بمجموعه لا يسمو به الىالمقام العالي مع صفائه وانسجامه وخلوه من الالتباسوالابتذال.

والشاعر مع اعتزازه بمكانته الشعرية وحرصه عليها ، كان يعرف وزنه ، بل كان يعرف وزن كل شاعر، ويعجب بكل ذي موهبة ، ويأسف على فقدان كل اديب . وراعه المصاب بصديقه طانيوس عبده وآلمه ان يموت طانيوس بائسا ، بعد ما قضى الشطر الاكبر من العمر بائسا،فوقف يرثيه . والكلمة الاولى في رثاء طانيوس كانت للفقيد الاستاذ وديع عقل نقيب الصحفيين يومذاك . فبكى وديع الراحل واستبكى . فلم يكن من الياس فياض الواقف بجنبه الا ان هتف به بصوت جهوري راعد :

لا تبكه فاليوم بدء حياته   ان الاديب حياته بمماته

فكان ابلغ من رثى طانيوس عبده ، مع ان رثاءه لم يجاوز الابيات الستة ، ويمكن القول في هذه الابيات الستة انها من خير ما قيل في رثاء اديب .

واعتمد الياس على الترجمة في نظم قصائد وافرة . وترجمته سلسلة لا يكاد يشعر من يقراها بان هناك نقلا من لغة اجنبية . فالشاعر كان من ذوي الصناعة في البيان العربي حتى لتاتي ترجمته مطابقة للاصل الفرنسي في قالب عربي بليغ . فما هناك سوى تبديل بضعكلمات وللشاعر عذره في هذا التبديل وهو ينظم شعرا لا يكتب نثرا ، وللنظم اوزان وقيود لا يقوى مقحام على العبثبها وتحطيمها ، فتضطره الى كلمات وقوالب يخرج بها

احيانا عن الاصل .

وكل من وقف على قصائد الياس فياض المترجمة اعترف له فيها بالاجادة وايقن ان صدر اللغة العربية يتسع برحابة لهذه الكرائم . وقصيدته الاولى المهيبة به الى الترجمة قصيدة « سقوط الاوراق » للشاعر الفرنسي « ميلليفوي » . فتولى الياس فياض نظمعقدها سنة ١٨٩٤ ومما جاء في مستهلها :

ما مر حر الصيف والهجير وآذن الخريف بالظهور
حتى ذوت عرائس الزهور وانقطعت زقزقة الطيور
وزال حسن الروض والغدير

جردت الاغصان من حلو الثمر واكتسب الارض بأوراق الشجر
فالروض كالعاشق يبدو للنظر سكوته يترك في النفس أثر
يضيق عن فسحة الصدور

وله قصيدة « النجوم » وهي قصيدة سها عنه في البدء التصريح بانه ترجمها عن اللغة الفرنسية فادعاها . ولما عوتب فيها ادرك انها ليست له ، واذاع امرها في مقال اعلن فيه ان فتاة حسناء كانت تنشده ابدا هذه القصيدة وهما على شواطىء الاسكندرية ، يضيئهما القمر الاصفر الوجه كالفيران ، فرسخت القصيدة في ذهنه ونظمها وهو لا يدري انه ينظم قصيدة سبقه الى معناها شاعر اجنبي . وجاء في هذه القصيدة المنقولة :

قلت للنيرات ذات مساء أترى انت مثلنا في شقاء ؟
ساهرات الجفون هل لفراق خافقات الضلوع هل للقاء ؟
هائمات مع المجرة تجـ ـرين الى غير غاية او رجاء
مثل سرب من القطا ظامئات حول ماء يمنعن ورد المساء

ومن يستطيع القول وهو يطالع هذه القصيدة المختارة الالفاظ ، العربية الديباجة ، انها مترجمة عن شاعر فرنسي ؟

وقصيدة « النسيم » مترجمة :

هذه قصة جرت لنسيم الـ ـروض فيما مضى من الازمان

اما قصيدة « اذكريني » للشاعر الفرنسي الفرد ده موسه فان الياس فياض تجاذبها وشقيقه نقولا . فكل منها ادعى ترجمتها واثبتها في منظومه . اما لمن هي فليس هناك من يقوى على الجزم . والكلمة الاخيرة فيها لنقولا نفسه . فاما ان يعترف بها لاخيه ، كما يقضي به عليه الوجدان ، واما ان يقسم بتراب اخيه انها له ونحن نصدقه ، او ان يسرد لنا حكايتها ان تكن ذت حكاية . فان ما دعا الاخوين الى ادعائها معا لا بد ان يكون قائما على علة من العلل . وهذه العلة ما هي ، هل من ايضاح لها كي ينجلي للادب السر ؟

ونظم الياس قصائد سلخها من قلبه . واذا حوى ديوانه من قصائد المدح والرثاء ما لا يستهان به ، فان في مطاوي هذا الديوان نفثات عالية يظهر بها الشاعر اللامع . فهو صاحب قصيدة « المشنوق » وصاحب « معرض الازهار » :

من شقيق واقحوان وورد وخزامى ونرجس وبهار
زهرة عند زهرة عند اخرى كاقتران الدينار بالدينار

وهو صاحب :

صد عني ولا عجب كل شيء له سبب
ذهبت ساعة الرضا واتت ساعة الغضب
مستبد بحكمه فانا مثل ما احب
تارة صا حب المنى تارة صاحب الكرب
فلقاء به الهنا وفراق به التعب
كل هذا لان لي فيه صدرا قد التهب
ولاني عشقته بارد القلب والشنب

على ان قصائده المترجمة ، في اعتقاد فئة غير قليلة من الادباء ، اسمى منزلة وارفع قدرا .

الياس فياض الناثر

وهذا الصفاء الماثل في شعر الياس فياض هو هو في نثره . فكأنه لا يكتب بسوى قلم جلي استمد اشعته من قلب النهار . فليس هناك ابهام ولا غموض ، بل صراحة ووضوح . وهذا دليل اخر على صفاء القلب وسلامة النية ، مما زخر به صدر الياس فياض في مواقفه على اطلاقها .

ونثره انيق تطفو عليه الفصاحة وصحة التركيب . فتقرأ فيه الصفحة تلو الصفحة وانت معجب بذلك القلم الرشيق .

ونثره النقي يتألق في رواياته التمثيلية وقد ترجمها الياس فياض للمغني الرائع الشهرة الشيخ سلامة حجازي ناسجا فيها على منوال صديقه نجيب الحداد ، مزود الشيخ سلامه اروع آيات الملعب . ولا تبرح ترجمات الياس فياض حتى الان مطلا بهواة التمثيل العربي . وزف الياس الى ملعب الضاد اربع عشرة رواية مترجمة وثلاث روايات موضوعة . والروايات المترجمة هي : ماري تيدور ، عبرة لابكار ، عوطف البنين ، القاتل ابي ، بين نارين ، تبكيت الضمير ، عيشة المقامر ، بائعة الخبز ، لويس الحادي عشر ، مضحك الملك ، الشفاليه ده لاغارديير ، نابليون ، الحجرة الصفراء ، ليلة العرس .

والمؤلفة هي : الزوجة الخائنة ، دون فردنند ، فران البندقية . ولم نكن نعتقد ان الياس فياض جلد دماغه في حين من الاحيان وجاد على الملعب بهذا العدد الوافر من الروايات . ولكن الحقيقة تدحض سوء ظننا بمن كنا نحسبه على كسل واهمال .

نسمة عابرة

كموجة تزخر بالحنين والمشاعر
كرفة الجناح ، كالبخور في المجامر
كغيمة بحرية تتيه في المقابر
ضاعت اغاني الندايا في مساء ساحر
لكنها لما تزل في مهجتي وخاطري
بقية من ذكريات شاعر مغامر

ايامنا كانت لفافات ضباب عابر
فتانة الحب كأحلام الشباب الحائر
تغمرها الحياة بالصفاء والبشائر
مر الربيع كالمنى منمنم الازاهر
فاينعت قلوبنا بالحب والخواطر
لكن اعصار الخريف هب كالمخاطر
الوى ضلوع الزهر في حقولنا العواطر
وسمر الليل جناحه على المعابر
كنسمة ضاعت ليالي عمرنا السواحر
كرفة الجناح كالبخور في المجامر
لكنها لما تزل باقية في خاطري
كامنيات حلوة لشاعر مغامر

دمشق — صالح درويش

الرجل البائس

ويجب ان لا ننسى ان حامل القلم اكره على ان يكون حامل سيف . فلقد ركب الياس فياض في بدء الاحتلال الفرنسي في لبنان منصب رئيس الشرطة في بيروت . وهو منصب لم يخلق له الاديب فياض على ضخامة جسده وسعة صدره ووقاره . فالشاعر لا يستطيع ان يملك ناصية الامن حتى ولو كان المتنبي . وكيف يصون النظام من العبث من يعبث بكل نظام ؟.. لذا لم يثبت الياس فياض على راس الامن ، فانتقل منه الى القضاء ، وفي القضاء لم يطل به الامر حتى انزوى في بيته .

ولم يكن ذا ثروة ليقوى على مكافحة نوائب الدهر ، فضاقت به يده وشعر بالفاقة . وتلفت الى الاصدقاء وجد لدى بعضهم العطف . فاشترت فئة منهم بضع مئات من نسخ ديوانه ، الا ان المال كان اشبه بالسائل بين يدي الياس فياض ، فلا يهدا فيهما ، وكيف يهدا فيهما وهناك الميسر ؟

وهيام صاحبنا بالميسر بات اشبه بالعبادة . معان هذا المعبود لم يرفق يوما بعابده . فان الياس فياض كان سيء الحظ في جلوسه الى المنضدة الخضراء وقد صح فيه القول القائل : « المنحوس منحوس !.. » فاذا قعد للميسر وفي جيبه مائة دينار برح نادي المقامرة وليس في جيبه فلس . وربما اضطر ليعود الى منزله الى استدانة بدل ركوب العجلة من احد الاصدقاء . ويروي عنه شقيقه نقولا فياض انه ربح ذات ليلة في صوفر مائة دينار ذهبا . وخاف عليه شقيقه ان يخسرها فانتزعها منه وتوارى عن كل عين . ولكن الياس اهتدى اليه في مخباه واستعاد المال وقامر به فخسره ، وما طلع عليه الصباح حتى كان قد كفن الربح المفقود بخسارة تضاهيه .

وتململ الياس فياض في بؤسه ، وطرق ابواب الدواوين يرجو عملا ، فلم يفسح له شارل الدباس . فيئس من الحياة وهدد رجال الحكم بكتاب يذيعه ويفضح فيه امرهم ، ولكنه لم يصنع ذلك الكتاب .

وبينما هو في حيرته اذا الامال تضحك له بملء فيها ، واذا به وزير الزراعة في اول وزارة قامت في لبنان برئاسة اوغست باشا اديب .

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها ...

وما سقطت الوزارة حتى كان حيث يستطيع عملا ، على راس المعارف . وفقدت الطائفة الارثوذكسية ممثلها في ندوة النيابة فكان الياس هذا الممثل .

على ان المنية عاجلته حين بسم له الدهر . فقضى نحبه يوم آمن شر الفاقة والعوز . وهنا يجب ان نعيد القول المأثور : المنحوس منحوس !..

والياس فياض سميح حتى في آثاره الادبية . فترجم في احد الايام وشقيقه نقولا رواية تمثيلية ، تحت عنوان « اللص الشريف » واقبل طانيوس عبده يشكو نضوب الجيب . فتناول الياس الرواية عن منضدته ووهبها لطانيوس كي يبيعها باسمه للمكتبات ويتقاضى بدلها لنفسه . وهكذا كان . فظهرت الرواية مطبوعة وعليها اسم طانيوس عبده .

هذا هو الياس فياض الشاعر ، والناثر ، والمحامي ، والقاضي ، والشرطي ، والبائس ، والوزير ، والنائب . فان تكن اعماله في المحاماة والقضاء والوزارة والنيابة ليست المعجزات ، فان عمله في ناحية الادب مجيد بليغ . فهو من الادباء الذين تتناقل الافواه اسماءهم . ولو كان ذا همة لبدا اثره اكثر بروزا واشراقا ، الا انه كان لا يجهد نفسه . فلا يكترث ليومه ولا يفكر في غده .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

كرم ملحم كرم

شعرت بان يدا قاسية تعصر قلبي وعاودني شعوري الغريب بالقلق والانفعال ... واندفعت فورة من الدماء الى رأسي حتى كادت تفجرها. وامسكت اصابعي المتشنجة بحافة المقعد كأنها تقيني سقوطا وشيكا في هاوية مجهولة !

وخرجت من فمي كلمات مرتجفة لا يمكن ان تصدر عني في موقف آخر :

ـ اذن ... هكذا تريدين !

وحركت يدي في الهواء متصنعا اللامبالاة ، ورسمت على شفتي ابتسامة باهتة ، وتمتمت بنفس اللهجة المرتجفة :

ـ كما تريدين !!

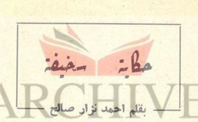
وكانت عيناي تتحركان في دائرة صغيرة تشمل اناملها الرقيقة التي راحت تنقر بعصبية غريبة على المقعد وخيل الي ان عيون الجميع اتجهت نحوي ، وان اكثر من شخص ينتظر اللحظة المناسبة لكي يصب في اذني عبارات السخرية التي تعودت ان اطلقها لتصفعه .

كنت اشعر وكأن كل ما في العالم من ذل قد تجمع فوق ظهري . والزملاء لم يتعودوا مني سوى الضحكة العالية المتدحرجة التي تجلجل في الجامعة، والكلمات اللاذعة التي يقذفها لساني كأنه شلال لا ينضب . وكانوا قد جعلوني نموذجا للانسان الذي يعيش حياته ولا يمزقها بالترهات ... وربما حلا لبعضهم احيانا ان يردد : « ليتني مثل فواز . انه لا يهتم بشيء ! » او ان يعلق بشرود واسى : « ان فوازا انتصر على الهم والمشاكل من زمان ! » ثم يراجع في ذهنه قائمة طويلة من القضايا التي تحيط به وتنغص عليه حياته !

فبدوت في نظر الجميع كاسطورة ضاحكة لا تجرؤ الاحزان على الاقتراب منها !

كنت شيئا جديدا في حياة الكثيرين ! وكان بعضهم قد اتى من القرى النائية او المدن الاخرى ، او من اهالي دمشق نفسها ، اما انا ... فقد كنت ادعي احيانا انني من بيروت ، او جونيه ، او قرية بعيدة من قرى الشمال التي لا تصلها السيارات . حتى يئس الذين يسألون وايقنوا ـ امام سيل المزاح الذي اقذفه ـ انهم لن يستطيعوا انتزاع كلمة جدية من فمي ...

وبقيت مصرا على الاحتفاظ بكل ما املك من ماضي ، وانا منذ التحقت بجامعة دمشق ، شعرت باني مزقت غشاوة رقيقة كانت تغلفني وخرجت ... لادخل قشرة سميكة ! لا احد هنا يعرفني ، لن يستطيع احد ان يكتشف ما يعتمل في داخلي ، او يتحدث عني بسوء ، او يحاول ان



بقلم احمد نزار صالح

يلوك حكاية سخيفة يتندرون بها في قريتي البعيدة كلما خطر على بالي ان اسير في طريق مأهول هناك ...

سأرتدي انفعالات جديدة تطفو على السطح لتغطي الاعماق !

ساكون انسانا «لا يهتم بشيء ! »

واغلب الزملاء فاجأتهم قشرتي الجديدة التي ظهرت على شكل شخصية جريئة حتى اندفع قسم منهم في محاولة تقليد ترضي غروري كما ان البنات في الجامعة تجمعن حولي كالفراشات الملونة ليحصلن على اكبر عدد من تعليقاتي السريعة الساخرة !



وكنت قد عقدت العزم على مزاملة الجميع ، وحذفت من قاموس حياتي الجديدة كلمة « صداقة » الى الابد.

لن اصادق احدا هنا !

من يدري ؟ ربما سألني سؤالا ثقيلا يفتح ثغرة بشعة تطل على حياتي الماضية ...

كرهت الصداقة الى اقصى حد ، انها لا تعني شيئا بالنسبة لي الا البوح بكل ما يعتمل في داخلي من انفعالات واحاسيس ، ولو فعلت... لغدوت اضحوكة بين الناس !

جعلت علاقتي بالجميع ضحلة كمستنقع آمن ، ولم يؤرقني في حياتي الجديدة شيء الا تلك الهنيهات التي يعاودني القلق فيها ...

في تلك الهنيهات ... كان يجتاحني خوف غامض لا استطيع تعليله ، ويخيل الي ان حياتي الحالية ليست سوى حلم قصير مهما طالت ، ولسوف اعود الى ايامي الماضية التي تنتظرني كأنها القدر ، وتتسلق الكآبة حينئذ الى وجهي متشبثة به ، وافقد رغبتي في المستقبل السعيد ، واستسلم ... وارى وكأن الزملاء والزميلات احاطوا بي من كل جانب ، وهم يصيحون بصوت هائل :

ـ لقد عرفناك ، عرفناك ! لماذا كنت تخفي عنا ؟ لقد جاء احدهم من قريتك البعيدة امس ، وحدثنا عن الحكاية كلها ! من كان يصدق ؟ لن تسخر من احد بعد الان ، ولن تستطيع ان تضحك ايضا ...

تلك الهنيهات ، احيانا ، كانت تتسع حتى تلتهم جزءا كبيرا من ليلي ونهاري ... فكنت عندها اغادر الجامعة الى غرفتي النائية في « المهاجرين » التي لا يعرفها احد ، واعتصم هناك ، وقد ابقى يومين او اكثر ، حتى يمكن لي ان اصلح الحزن الذي اصاب قشرتي الزائفة..

ويوم اعود ، كان اكثر من واحد يسألني بحماس :

ـ اين كنت؟ اشتقنا اليك ...

فاجيبه وانا اطوح بذراعي الى

الامام بحركة مسرحية :

ـ كنت استغفر الله ، واكفر عن ذنوبي !!

ويضحك السائل ، وربما تمتم بينه وبين نفسه : « ليتني مثل فواز ... انه لا يهتم بشيء ! »

تلك الهنيهات بقيت تعاودني حتى عرفت سميرة . كانت فتاة تختلف عن غيرها ، في عينيها وميض غامض من الذكاء ، وكلماتها تخرج متزنة لدرجة غير معقولة . كانت الوحيدة التي لا استطيع ان اسخر منها ، او اقهقه في وجهها ...

احببتها !

كنت كالطفل الصغير حيالها ، ولكن شخصيتي الجديدة الاسطورية، كانت احيانا تحاول ان تثبت وجودها ... حتى قالت لي ذات يوم بكلماتها ذات الاتزان غير المعقول :

ـ انت مزدوج الشخصية !

وعلى الرغم من انها لم تكن توليني عناية خاصة ، الا انني شعرت انها تفضلني على غيري ولو قليلا ...

احببتها وقشرتي السميكة تكفر بالحب .

وبدات سميرة تسألني ...

كانت اسئلتها كالمدافع التي تدك اسوار حياتي الماضية ...

وكنت اضطر الى الاجابة لارضيها وكثيرا ما لجأت الى الكذب لاخفي قسما مظلما من ذكرياتي يضم حكاية سخيفة يتندرون بها في قريتي البعيدة كلما عن على بالي ان اسير في طريق مأهول هناك ...

ولكن ، هل كانت سميرة تحبني ؟ سؤال لم استطع الاجابة عليه، او اني تجاهلته كأنه عفريت يسكن جسدي ويملكه . خيل الي انها اعجبت بالقشرة الزائفة التي صنعتها ، ويوم تعرفني ، يوم تتغلغل داخلي عبر القشرة ... يومها سوف تتركني ، تكرهني ، تصيح في وجهي بجنون :

ـ اغرب عن وجهي ايها النذل !

يومها سوف افقدها الى الابد ، وقد يدفعها الامر الى ان تقص حكايتي لرفيقاتها ...

لذلك كنت احافظ على قشرتي الزائفة . لم اقل لسميرة اني احبها ، بل كنت انوي مصارحتها بانني اشتهيها ! هكذا انا « لا اهتم بشيء! »

كنت لا اريد ان اجنح بعلاقتي معها نحوا عميقا حتى لا تصل الى جذوري ... ويكفيني منها انني تخلصت من الهنيهات القلقة التي كانت تؤرقني وتجعلني اهرع الى غرفتي النائية في « المهاجرين » واعتصم هناك ...

شعرت بان خيطا من الهدوء يتسلل من كلمات سميرة المتزنة ليلفني ... ويرفعني بعيدا عن شعوري بالقلق والانفعال ...

الى ان لاحظت منذ ايام ان سميرة تتجاهلني ... عيناها الواسعتان تتحولان عني باصرار وعناد . لم تكن تريد ان تبادلني حتى السلام !

امر غريب جد على علاقتها بي ..

حتى جئت اليها اليوم في قاعة المحاضرات ، في الاستراحة بين الدرسين ، وبدأتها الحديث بحركة تمثيلية اظهرت فيها براعة القشرة التي احتمي داخلها ، وسألتها :

ـ ماذا بك ؟ لا سلام ولا كلام ! الدنيا لا تزال بخير ...

واحتقن وجهها بالدماء الحمراء ، واندفعت من بين شفتيها قبضة من الكلمات التي خرجت متزنة لدرجة غير معقولة ، ودون ان تنظر الي :

ـ في الجامعة ، الشبان نوعان .. نوع يستحق ان نصادقه ، ونوع لا يستحق ذلك !

وصمتت لحظة ، ويداها تنقران بعصبية عجيبة على المقعد ، ثم اردفت :

ـ وانت !... انت من النوع الثاني . الزمن الذي كنا فيه صديقين انتهى ... يا « سيد » فواز !

وقالت كلمة « سيد » بتقزز شديد !

ـ اذن ... هكذا تريدين !!

ـ انت مهرج !

ـ كما تريدين !!

لم اسألها عن السبب ... خير لي الا اعرفه . واصررت على تجاهل كلمتها الاخيرة « انت مهرج » . اقنعت نفسي بانها لم تقلها ، بينما عيناي تتحركان في دائرة صغيرة تشمل اناملها الرقيقة التي راحت تنقر بعصبية عجيبة على المقعد !

انا مهرج ! اذن هي تفضل ان اتخلى عن قشرتي ؟ هي تفضل ان تسمع الحكاية السخيفة التي يتندرون بها في قريتي البعيدة كلما خطر على بالي ان اسير في طريق مأهول هناك !

ام تراها سمعت بها ؟!

كانت اليد القاسية ما تزال تعصر قلبي ، والشعور الغريب بالقلق والانفعال والخوف من شيء مجهول لا يزال يلجم حركاتي ، وانا اقطع الممر الطويل في طريقي الى الحديقة عندما لامست يد كتفي ، وصاح احدهم من خلفي :

ـ تعال يا فواز ... بعضهم يريد ك!

كانوا جماعة من الزملاء ، ابتدرني احدهم قائلا :

ـ عندنا حفلة الليلة ... هل تأتي ؟!

وصاح اخر :

ـ طبعا ستحضر ! انها « حفلة » من النوع الذي لا يكتمل الا بوجودك!

فاستجمعت كل ما بقي بي من قشرة ، وقهقهت ، وطوحت بيدي في الهواء ، وصحت :

ـ سأبدأ اذن من الان في استغفار آثامي المقبلة !

واخترقت الجماعة ، راكضا الى الخارج

وبينما كنت في طريقي الى غرفتي النائية في «المهاجرين» ، متسائلا متى اعود الى الجامعة ... يوم ، يومان ؟ ثلاثة ... لا ادري !..كان احدهم يتمتم لنفسه بحسرة «ليتني مثل فواز ، انه لا يهتم بشيء !»

دمشق **احمد نزار صالح**

في الغسق

ملك عبد العزيز

القاهرة

في الغسق
والسحاب الجون يحتل الافق
والسكون المر يوحي بالقلق
وضباب غائم اللون على الشط اندفق
لف اشباح نخيل وبيوت وطرق
وطواها في ضمير الغيب والغيب حنق
ينهب الفرحة والنور بجوح منطلق

في الغسق
شق قلب الغيب والغيم شراع
وادع الخطو ... مضيء كالشعاع
نوره غض ومسراه رفيف وامان
نوره يحنو على الظلمة..يدحوها بكف من حنان
لـؤلـؤة
لم يزل يقطر منها زبد الامواج ...
بكـر لم تمس
ضواتها الشمس في فجر رطيب
بشعاعات الغلس
غسلتها في قرار الموج ربات البحار
وحبتها بالصفاء البكر الوان المحار
والقمـر
سرقت من نوره الف شعاع
من حنان وصفاء ونغم
جدلها خلف استار الزمن
في المروج الدافئات
في الظلال الناعمات
وحبتها للشراع الوادع
فسرى كالحلم منغوم الرؤى
وادع الخطو مضيئا كالشعاع

ثم لاحت ظلمة من بعد ظلمه
سحب سوداء نكراء الحواشي مدلهمة
بسطت اذرعها المعقوفة الشوهاء
كالشعر اللعين
فغرت افواهها النكراء ...
كالوحش الطعين
وطوته ...
طوت الزورق في اعماقها الغبراء ...
حلما ضائعا
وبدا الليل وحيدا ...
والسكون .


شفيق طباره

اصطلاحات عامية

بقلم شفيق طباره

نشرت لي مجلة الاديب الغراء في الجزء الحادي عشر من السنة الثامنة عشرة بعض الاصطلاحات العامية الدائرة على السنة العوام في لبنان وقد رأيت اتماما للفائدة ان اورد في هذا الفصل عددا اخر منها لمن يهمه تأويل الاصطلاحات العامية وتطورها في البلاد العربية .

من ذلك قولهم (مثل الحربابة) ويضرب في التقلب وعدم الثبات والحربابة اي الحرباء نوع من الزحافات تتلون في الشمس الوانا مختلفة . و (شركة حلبية) اي ان كل فرد من الجماعة يدفع ما يصيبه من النفقات على طريقة من قال : تعاشروا كاخوان وتعاملوا كأجانب. و (خبط لزق) اي بلا روية و (ايده خفيفه) اي سريعة الخطف و (ايده طويلة) اي تمتد لمال الغير و (انفرطت السبحة) يقال للقوم عند تفرقهم واختلافهم و (اجا على طبطابو) يقال للمتلائمين المتوافقين . و (اضحك بعبك) اي اضحك في سرك لانك مصيب او غانم و (سلم بريشه) اي نجا بنفسه من الخطر و (بوجهين ولسانين) يقال للمرائي ولكثير التلون في الوداد . و (حط ايدك بمي باردة) المي الباردة اي الماء البارد ويقال للطمانة . و (بزقة تحت حصيرة) ويروى (بزقة تحت حصيرة ما بتختفي) اي لا بد لكل مكتوم ان يعلن و (بيدبح بظفره) يقال للقوي المستبد و(سدح مدح) يقال : الدنيا له سدح مدح اي لا معارض له فيها و (سلم ذقنه لغيره) اي اطلق له التصرف بأمره . و (شمع الخيط) اي تمكن من الهرب بدون اعلام تشبها بالقبائل الرحل التي من عادة افرادها ان يطووا خيامهم ويشمعون الحبال التي يربطون بها امتعتهم عند الرحيل . واصله كما قيل ان اميرا سمع بمهارة محتال ، فاستدعاه وقال له : ـ اني اجزل لك العطاء ان استطعت ان تحتال علي . فقال المحتال : اعطني مائة دينار فاشتري بها (عدة الاحتيال) فاعطاه وامر بمرافقته لئلا يهرب ثم حضر بعدته فضرب الامير فسطاطا دعا اليه رهطا من اصدقائه ليشاهدوا اللعبة وكان مما احضره المحتال بكرة كبيرة ذات خيط طويل فتقدم الى الامير وقال له : امسك بطرف الخيط لاشمعه والعب به لعبتي فامتثل الامير واخذ المحتال يشمع الخيط ويتراجع قليلا قليلا حتى بعد واختفى عن الانظار وعندها بحث عنه رجال الامير فلم يجدوه وبذلك تمت لعبة المحتال وفاز بالمال ومن هنا نشأ هذا التعبير (شمع الخيط) اي هرب .

ويقولون (شربة سيكاره) او(رمية حجر) للاعراب عن قصر الوقت او المسافة و (مثل السمك بالبحر) يقال في المخاطرة والامر صعب المنال و (عمل بالرز بصل) يقال لمن افسد قوله بما بدا فيه من الكذب . و (بيسكر من زبيبة) يقال لمن يفتتن بما لا يفتن . و (حاطط روحه على كفه) يقال لمن يجترىء على عمل ويخاطر فيه لمطمع و (سن اسنانه) او (مشط لحيته) يقال لمن تهيأ للشيء . و (فشر) كلمة تقال في رد المعجب بنفسه . وهي مأخوذة من فشار مختصر (خنفشار) وخنفشار اسم احد المشايخ وكان لا يسأل عن علم اوفن الا اجاب عنه مستشهدا بكتب العلماء فذاع صيته واعجب بعلمه قوم فدابوا على التردد اليه حتى ارتابوا بصحة ما كان يقوله فاجتمعوا وقالوا : يكتب كل منا حرفا في قرطاس ثم تجمع تلك الاحرف كلمة لا وجود لها في اللغة والاصطلاح ونمتحنه بها فان اجاب عنها علمنا ان ما يجيبنا به اختراع وان انكرها او صرح بجهله اياها وثقنا به فكتبوا ثم جمعوا الاحرف فكانت خنفشار فجاؤوه وسألوه عنها فقال على الفور : هو نبات ينبت في مشارق اليمن وهو سبط الساق رقيق الورق مستدير الزهر يقرب بياضه الى حمرة قال ابن البيطار انه حار في الدرجة الثانية رطب في الاولى وقال داود البصير انه يذهب الخفقان ويجلو آلام النفس وقد

جربته العرب في ادرار اللبن فقال شاعرهم :

لقد جذبت محبتكم فؤادي   كما جذب الحليب الخنفشار

ثم قال : وقد ورد في الحديث ، وكاد يذكره ، فقاطعوه وقالوا : كفى يا شيخنا قد كذبت على الاطباء والعرب والشعراء فلا تكذب على الرسول ايضا واخبروه بما كان فخجل وانقطعوا عن سؤاله .. والفشار عند العامة هو كلام الهذيان والبطل والكذب وربما كان اصل الفشار الخنفشار فحرفت والعامة تبني منها فعلا فتقول : فشر !... ويقولون (بفلي البرغوث) للبخيل ولكل مدقق في الامور . و (بلاطش خياله) يقال للساخط يسارع الى الشر . و (اضرب واطرح) يقال في موقف السخرية والاستخفاف . و (كلام الليل مدهون بزبده يطلع عليه النهار يسيح) او (كلام الليل يمحوه النهار) وهذا المثل مشتق من الفصحى ويقال لمن يخلف الوعد واول من قال ذلك جارية لمحمد بن زبيدة الامين . ففي كتاب العقد الفريد عن ابي جعفر انه قال : بينا محمد بن زبيده الامين يطوف في قصر له اذ مر بجارية سكرى عليها كساء خز تسحب اذياله فغازلها فقالت : يا امير المؤمنين انا على ما ترى ولكن الى غد ان شاء الله . فلما كان الغد مضى اليها فقالت له: يا امير المؤمنين اما علمت ان كلام الليل يمحوه النهار .. فضحك وخرج الى مجلسه ثم دخل عليه الشعراء ابو نواس ومصعب والرقاشي في موعدهم فقال لهم : ليقل كل منكم شعرا يكون آخر شطر منه (كلام الليل يمحوه النهار) فقال الرقاشي :

متى تصحو وقلبك مستطار   وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما   فتاة لا تزور ولا تزار
اذا استنجزت منها الوعد قالت   (كلام الليل يمحوه النهار)

وقال مصعب :

اتعذلني وقلبي مستطار   كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي   بالحاظ يخالطها احورار
ولما ان مددت يدي اليها   لالمسها بدا منها نفار
فقلت لها عديني منك وعدا   فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا اجابت   (كلام الليل يمحوه النهار)

وقال ابو نواس :

وخود اقبلت في القصر سكرى   ولكن زين السكر الوقار
وهز المشي اردافا ثقالا   وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها   من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتي فقالت   (كلام الليل يمحوه النهار)

فقال لهم الامير : اخزاكم الله او كنتم معنا ؟ ومطلعين علينا ؟ ثم امر لكل منهم باربعة آلاف درهم .

ويقولون (دقنه جواته) اي يستأثر بما يملكه غيره. و (بيته مفتوح) يقال كناية عن الكريم اي بيته مفتوح للضيوف . و (بغمس برات الصحن) يقال لمن يخرج عن الموضوع . و (نفسه خضرا) يقال للمسن المتصابي و (مثل خيال الصحرا) يقال لمن لا يرجى منه خير وليس له من تأثير . و (يا كدتي يا كلمدي) عبارة تركية تقال في الشيئين يتشابهان ويفترقان . و (من عظام الرقبة) يقال لذوي الرحم والاقربين . و (من دقني وجر) اي ان هذا الشيء يصيب كل واحد منا و (مثل جراب الكردي) كناية عن احتواء اشياء كثيرة متنوعة . و (بيضة الديك) يقال للشيء يكون مرة واحدة وللبخيل يعطي مرة ثم لا يعود لان الديك يبيض في عمره مرة واحدة على زعم الزاعمين وهذا القول من الفصحى . قال بشار بن برد :

قد زرتني في الدهر واحدة   ثني ولا تجعليها بيضة الديك

ويقولون (بس) بمعنى كفى واصله ان محمد بن احمد المحتسب تزوج وبينما هو ذات يوم يجلس على عادته وقد اخذ يكتب شيئا والمحبرة بين يديه اذ اقبلت حماته فما رأت المحبرة حتى اخذتها وما هي الا ان ضربت بها الارض فسال مدادها وانكسرت فعجب الرجل من امرها وسألها : ماذا جنت المحبرة ؟ فاجابته : بس .. هذه شر على ابنتي من ثلاثمائة ضرة ! وهكذا قالت الحماة لزوج ابنتها : بس ... قالت ذلك منذ تسعة قرون كما سجل مؤرخ بغداد وما زالت تقال الى اليوم .

ويقولون (هي ليلة يا مكاري) وقريب منه قولهم (شيء وصار) يضرب للحض على الصبر والاحتمال والرضا بالواقع . و (نجمه محبوب) يقال للمحظوظ وللطيف المعشر . و (مثل قصة الحيات) اي طويلة ومزعجة ومملة . و (على بارد المستريح) اي بسهولة ومن غير تعب . و (بلا قافية) يقال عندما يكنى عن شيء ولا يراد بمعناه السوء . و (حجته برقبته) يقال لبريء الساحة . و (حبر على ورق) اي لا قيمة لما هو مكتوب. و (الحبل على الجرار) يقال في تكرار الامر واستمراره. و (دخانو بيعمي) يقال للمؤذي او لمن لا يصنع خيرا. و (مالطه يوق) يقال لرجل ينكر الواقع وفي موضع السخر برجل لاحجامه عن الاتيان بعمل اما خوفا او جهلا ويعزى هذا القول لاحد امراء الاسطول التركي : حكي ان في الحرب التي نشبت بين الانكليز والاتراك سنة ١٨٠٠ صدرت الاوامر الى احد امراء البحر بالسفر الى جزيرة مالطة فغاب باسطوله مدة ثم اتى الاستانة ، ولما سئل عما فعل قال : (مالطة يوق) يعني مالطة غير موجودة وذلك لانه لما جن الليل تجهز للقتال ونشر خريطة

حرب كانت عنده مطوية ، وانار الشمعة ووضعها على الخريطة وشرع يبحث عن الجزيرة ولكن بدون جدوى لان اسمها كان صدفة تحت الشمعة ..

ويقولون (بيسوى ثقله من الذهب) ويضرب لرجل ذي اخلاق واصله من عادة العرب القدماء فأنهم كانوا اذا قتل منهم قتيل يفرضون الدية على القاتل وتكون الدية مقدار وزن القتيل ذهبا او فضة وهي ما يؤدى الى اهل القتيل اخمادا للاخذ بالثأر ومنعا من الانتقام . و (فتيلتو طويلة) يقال لكثير اللت والعجن والكلام الفارغ . و (لا معلق ولا مطلق) يقال لمن لا يقيده قيد. و (كرم على درب) يقال للكريم وفي معرض التهكم للبخيل . و (طبخة بحص) يقال للامر لا يتم ومثله قولهم (طبخة حجار ما بتستوي بنار) . و(فلت الملق) اي عدمت الادارة وفق النظام واختلت الامور . و(فوق الريح) يقال لمن هو في حال حسنة لا يخشى ان يناله سوء . و (لا خلفه ولا قدامه) اي مقطوع الصلة عديم الهم . و (مثل مجاذيب حمص) يقال في الهزء من الغافل لان كثيرا ما كان اهل حمص يوصفون بالغفل ورويت عنهم حكايات أقتصر على ثلاث منها :

الاولى ـ حكى انه حكم ذات يوم على حمصيين بالاعدام شنقا وقضى الحكم ان ينفذ الاعدام في مكان ارتكاب الجريمة فوق نهر العاصي . وعند تنفيذ الحكم لم يحكم الجلاد ربط الحبل حول عنق الاول وعندما قذف الكرسي من تحت رجليه انقطع الحبل وسقط المحكوم في النهر ونجا بنفسه ... وعندئذ تقدم المحكوم الثاني من الجلاد مستعطفا ان يشد الحبل حول عنقه جيدا لئلا يقع في النهر وهو يجهل السباحة ...

الثانية ـ حكى ان اهالي حمص ارادوا مرة ان يضعوا حدا للخلاف الناشب المزمن بينهم وبين اهالي مدينة حماه . ووضع الحد هذا لا يكون الا اذا استطاعت حمص ان تتغلب على حماه وتنتهي من مزاحمتها نهائيا ولذلك اجتمع بعض اهالي حمص وجاءوا ببرميل كبير ووضعوه عند مدخل البلدة باتجاه حماه على اساس انه مدفع حربي وحشوه بمختلف انواع المتفجرات ثم اشعلوا النار فيه . فحطم المدفع المزعوم كل ما حوله ما عد حمصيا وقع جريحا ثم تمالك نفسه وتلفت حوله ليرى ما حدث فقال متعجبا : ـ اذا كان بحمص صار هيك ... فشو بيكون صار بحماه ؟!.. والثالثة ـ اراد حمصي أن يزور مدينة زحلة فقيل له ان اعصاب اهلها تفور بسرعة فلا تحاول ان تثير اية مشكلة هناك . فقدم الحمصي الى زحلة وبعد ان حجز غرفة في احد الفنادق خطر له ان يذهب الى السينما فتوجه الى احدى دور العرض وقطع تذكرة دخول وقدمها الى البواب فمزقها كالعادة اما الحمصي فظن انه لم يقبلها وتذكر نصيحة الناصح فعاد الى قاطع التذاكر واشترى غيرها ثم قدمها للبواب فمزقها ايضا وعاد الحمصي يطلب ثالثة وظل بين ذهاب واياب حتى مل قاطع التذاكر فقال له : ـ قطعنا لك جملة اوراق افما اكتفيت ؟ فقال الحمصي : ـ يا سيدي كل ما قطعت تذكرة يمزقها البواب افتريد ان اعمل معه مشاكل ؟..

ويقولون (لا بهش ولا بنش) لمن لا نفع منه يرجى. و (لعب النار بعبه) وقريب من هذا قولهم (اللي تحت باطه مسله بتنعره) ويقال لمن يحس بعيب فيه عندما يذكر مثله في غيره . و (على دقة ونص) يقال لمن يمشي بغدده او ببطء . و (طلعت سلته بلا تين) يقال للخائب . و (قلبه ابيض) يقال للمعروف بسلامة الطوية . و (قرص له عجيناته) يقال لمن يجني على غيره شرا . و (عبدهم العجل) يقال للمزعج الشديد المضايقة . و (عمل عين العقل) اي عين الصواب . و (طلع من عينه عامص) اي نال جزاءه . و (طلع شيح بريح) اي انه لا رابح ولا خاسر . و (القالب غالب) يقال في مدح حسن القوام وكماله وتفصيل اللابس على الملبوس . و (عامل فيها ايد ورجل) يقال لمن يجعل في الامر ذيولا ومصاعب . و (القلوب شواهد) يقال للدلالة على تبادل المحبة . و (خوش بوش) يقال انا وفلان خوش بوش اي ان الكلفة مرفوعة بيننا . وخوش كلمة تركية معناها الطيب وبوش كلمة اتباع لفظي . و (اللي ما بيجي معك تعا معو) ويقال في التساهل وروي عن رجل ادعى النبوة فاستدعاه امير البلاد وسأله عن الادلة على نبوته فقال : ان في استطاعتي ان ادعو الشجرة ثلاثا فتذعن وتأتي الي . فقال الامير : افعل لنرى صدق قولك فدعا الرجل شجرة كانت هناك فما اتت . ثم دعاها ثانيا وثالثا ولم تأت عندئذ تقدم بنفسه نحو الشجرة فقال له الامير : لم ذلك ؟ قال الرجل : ان هذا من رسالة التسامح الذي ادعو اليه . ومن آياتها يا سيدي : اللي ما بيجي معك تعا معو .. فضحك الامير .

ويقولون (على هامان يا فرعون) للمفرط في كذبه . قيل ان منشأ هذا القول قديم وكان سبب ذلك ان فرعون الملك قد ادعى الالوهية وزعم ان في استطاعته ان يحيي الموتى وكان وزيره هامان عارفا بالخلط الذي يدعيه مولاه فجاء ذات يوم احد الناس وطرق باب فرعون ففتح له الوزير هامان وسأله عن حاجته فقال : معي بقرة ميتة ارجو احياءها فقال له هامان : انا آسف لان الملك منهمك الان بخلق البشر لا البقر ... فذهب الرجل من حيث اتى فاقفل هامان الباب ودخل توا غرفة مولاه وحدثه عما كان من امر الرجل فاستاء الملك ووبخه على فعله وقال : عندنا وقت يزيد عن عمليات احياء البشر فلم خيبت رجاء صاحب البقر ؟ فضحك هامان وقال : وعلى هامان يا فرعون . وذهب قوله مثلا

والمعنى ظاهر .

ويقولون (شياط وعياط) العياط الصياح والشياط الجلبة والطيش . و (ابن مبارح) يقال للحدث الغر . و (ابن امه) يقال للفتى المدلل الذي تولت امه تربيته دون ابيه فنشأ مدلالا لحنو الام المفرط . و (ابن حرام) يقال للشرير الغادر . و (ابن الداية) ويروى : (ابن الداية ما عليه مخباية) ويقال لمن يختلط بقوم دون ان يكون له بهم قرابة او نسب فترفع الكلفة بينهم . و(ابن عز) يقال لمن نشأ في رغد . و (ابن كيف) يقال لمن يحب ابسط والانشراح و (ابن ناس) يقال لكريم الاصل و (ابن كار) يقال لمن اتقن صناعته و(ابن نكتة) يقال للظريف المتنادر و (ابو علي) يقال للسمح الكريم وللشجاع و (حطه على الرف) اي اهمله و (بحلق ذقني) يقال للسخرية ممن يؤكد امرا لا يتم و (حطه تحت باطه) الباط اي الابط يقال لمن يتغلب على اخر بدهائه ومكره و (قد الدنيا) يقال للانسان العظيم . و (عيرني اذنك) اي اعرني سمعك و (ارض حفره نفره) ويروى (ارض حفره نفره والمزار بعيد) ويقال لجدب المكان وبعد الشقة وللصعب من الامور مناله . و (ارمي ورا ضهرك) يقال في الحض على ترك الامر وعدم المبالاة . و (الطيبات للطيبين) هذا قول من الاقوال الرمزية التي كانت شائعة قديما في الخطبة ويزعمون ان اول من استعمله في تلك المناسبة الامير محمد الشهابي ويذكرون ان والده نزل ضيفا على الامير يوسف المعني سنة ١١٧٥م فخطب ابنته (طيبة) وذلك انه كان معه في حديقة جميلة الازهار فقا لوالده : المياه عذبة . فقال محمد : والارض (طيبة) ... فقال الامير يونس : وانت طيب يا محمد . فقال الامير محمد : الطيبات للطيبين وذهبت مثلا ويضرب للمتوافقين كما في القرآن الكريم سورة النور (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) .

ويقولون (الحكي ما عليه جمرك) للهزار الذي لا قيمة لكلامه . و (بياكل راس الحية) يقال للداهية المؤذي. و (روحه ناطرة السبت) يقال للنزق . و (المكتوب من عنوانه) يعني ان كل شيء يقاس بأوله ويقال لمن يستدل على الشيء بظهور علاماته . و (شرقوه بالملعقة) يقال للغبي ويريدون انك تشرح للغبي كل شيء ليفهم فلا يفيد معه الشرح كالطفل الذي لا ياكل ما لم يلقنوه الطعام تلقينا بالملعقة . و (بصلته محروقة) يقال للمتسرع الملح كالطباخ يسرع في قلي البصل فيحرقه . و (مثل شربة المي) الى الماء ويضرب للشيء يدركه المرء بسهولة ويضرب ايضا في السرعة والاستعجال . و (فوق الدكة شرطوطة) يقال لمن يحملك البلية ثم يزيدك عليها اخرى وهذا مثل قولهم زاد الطين بلة . و (فرجاه نجوم الظهر) فرجاه اي اراه واصله من الفصحى (لارينك الكواكب ظهرا) رواه الميداني . وقيل ان حليمة بنت الحرث بن ابي شمر ملك عرب الشام حضرت احدى المعارك محضضة لعسكر ابيها فزعمت العرب ان الغبار ارتفع يومئذ حتى حجب نور الشمس فظهرت الكواكب البعيدة ." واخذه زياد بن ابي سفيان فقال في احدى خطبه المشهورة عام ٤٥ هجرية حين كان في صف علي وحرض الازد على نصرة صاحبه وتحدى معاوية فقال : والله لو اذن لي فيه او ندبني (اي الحسن) اليه (لارينه الكواكب ظهرا) ويضرب في الوعيد اي انه يقضي عليه قبل ان يرى الكواكب ليلا .

ويقولون (بق البحصة) وبق اي بزق واصله ان المطران سمعان عواد كان له شماس جميل الصوت ولكنه سليط اللسان وقد نهاه المطران مرارا عن السباب فما ارعوى فنصح له بان يصنع بحصة اي حصاة في فمه حتى اذا فقد صبره وحاول السب عاقت الحصوةلسانه عن ذلك . وفي ذات يوم كان المطران صاعدا الى الدير ومعه شماس وكانت الشمس في الجبلمحرقة فلما اجتاز احدى القرى سمع صوتا منها يناديه (دخلك يا سيدنا ارجع) فرجع فوجد امراة تطلب ان يبارك لها (القرقة والصيصان) فأهاب بشماسه قائلا : يا شماس بق البحصة ... فسار قوله مثلا .

ويقولون (ان شاءالله) عبارة تقال بعد كل امر مشيئته الى الله . وفي هذه الكلمة ايمان بالقضاء والقدر، ويرى الغربيون فيها كثيرا من تواكل الشرقيين . وفي الكتاب المقدس رسالة يعقوب ١٣:٤ (ايها القائلون نذهب اليوم او غدا الى هذه المدينة او تلك وهناك نقضي سنة واحدة نتجر ونربح انتم الذين لا تعرفون امر الغد يجب ان تقولوا ان شاء الله وعشنا نفعل هذا او ذاك) ويقول بعض المفسرين ان اليهود سألوا النبي (صلعم) عن اهل الكهف فوعدهم بأن يجيبهم في اليوم الثاني ولم يقل ان شاء الله فنزلت الاية (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان شاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسىان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا) سورة الكهف ٢٣

شفيق طباره

اغنيــــة حب

الى عبد الباسط الصوفي

الحروف اللامعة المشرقة يبست في قلبي الحزين .. وتوقفت دموعي عن تسطير الكلمات ..

وانتظرت بصمت مرير ان تنقشع الغمامات السود عن عيني ..

ويزول عني الحزن .. وارجع امسح الحروف اللامعة بجفوني فتلمع وتشرق من جديد ..

منذ ايام فقدت اعز انسانة علي في الوجود .. امي

فقدتها قبل ان استمتع بها .. رحلت بسرعة مذهلة، وركبت عربة مذهبة يجرها حصان ابيض له جناحان بلون النور .. وغابت بعيدا بعيدا في مجاهل السراب .

ومنذ ذلك اليوم وانـــا اشتهي ان ينبض الحرف في قلبي ، اشتهي ان يعود الحـرف المقدس ويحيا من جديد بعـــد ان حطمت الاحزان جثمان حرفي المقدس

الحرف يموت في صدري كما ماتت غاليتي .. ودون ان استمتع بها

كالشعاع .. كالنور وهو يبهج النفس تسرب الى نفسي الالم ، وسكن في قلبي عميقـا عميقا .. وصار يحفر ، الالم ، حفرا حـول ذرات الرمال المذهبة .. حتى صرت « اغنية للحزن الصامت »

واذا شاعري ، شاعري الحزين الصامت ، يكتب حروف الحزن بدمع قلبه .

ويسطر على قلبي خيوطا دقيقة ، كخيوط العنكبوت ..

احببته ... فقد كان هو الاخر حزينـا مثلي

سماه الله ــ عبد الباسط ... وسمتـه الايام ، الصوفي ... وسمته الحياة الحزينة، الشاعر ...

الشاعر : مات مات مات ...

ولكن اسم الله ظل حيا، واسم الايام واسم الحياة ما زال ــ كما ولد ــ حيا ينبض بالحب ويعطي للوجود ، وللخلق ، ولله .. كـل الخير ، وكل النور

الشعر حي ... والشاعر مـات فـوق الابتسامات السوداء الصامتة

والقلب ، كل قلب ، يغني بمرارة وحسرة السنوات القصيرة التي عاشها الصوفي بحزن وصمت ومرارة ...

واذا انا ... انا الحزين الاخر الذي يبست حروفي في قلبي .. تحيا الحروف وتنبض وتتحرك من جديد .. فانسى مصابي ، بغاليتي الحبيبة ..

وارى بعين يملؤها رمل مـذهب عطشان عربة النور .. تخطر كالشعاع يجرها حصان ابيض كالملاك ينقل راكبا جديدا ، اسمه الشاعر ، الى حيث ينام الاحبة

ويبكي الشعر ... ويبكي الفن ... ويبكي الناس ...

وابكي انا .. وافرح لانـني استطعت ان انطق بحرف مقدس طاهر ..

احرقه عند جثمان من احببت .. جثمان شاعري الصامت الحزين ..

احرق حرفي الطاهر المقدس ، وانثر رماده عند قدميـه .

فقد كان حبيبا غاليا .

حمص

عدنان الداعوق

لا لن أغادر المدرسة ما دامت لي رغبة في التحصيل ، وسني تسمح بمتابعة الدروس !..

اتتجاهلين اجتهادي يا اماه ؟.. الا تذكرين انك في كل مناسبة كنت تحثينني على المضي في طلب العلم؟. وهذه الساعة في يدي ، هديتك بمناسبة فوزي بشهادة الدروس الثانوية في العام الفائت ، تذكرني دائما تكاتها بقولك : « ان الحياة تافهة اذا لم يوقف الانسان دقائقها ويشغلها بالمعرفة »... وكيف يتأتى له ذلك اذا كان بعيدا عن المدرسة؟..

حقا تقولين فالعلم لا يحد بزمن ، وبحدود ، ولا يتأتى بغير رغبة ، واختبار ، وحقول معرفة !..

ولكن !.. ماذا ؟.. ليست المسألة قضية سن وعدم اجتهاد يا عزيزتي! لاشك فقد رايت جارنا ابا فريد بثيابه الانيقة في الامس بجانب سرير والدك يدخل معه في حديث يكاد يكون همسا ، ولاحظت اهمية موضوعه من قسمات وجهيهما ، اذ كانت بعض الخطوط ترسم لنا علامات استفهام كبيرة ، رغم انهما كان يتبادلان على مسمعنا جميعا بين الحين والحين ، عبارات الود والتكريم التقليدية ، كالتي تتناقلها الالسن في المجالس والمجتمعات ، ويكرسها الطابع القروي ، في زيارات طويلة وقصيرة ، وتتناول احاديث بعض الشؤون الموضعية والعالمية ، وتدور في حلقة مفرغة ، دون ان يأخذ احد براي الاخر ، كل له وجهة نظره ، يناقش ويجادل ويستعرض الاحكام والشواهد من حدود افقه ، وكثيرا ما تدخل السياسة الى هذه المجالس والمجتمعات ، فيكون لها في اكثر الاحيان تفسير خاطىء .

اجل !.. فقد وقفت على حقيقة ما تقولين ... في الامس بينما كان يقوم احد المرشحين للتمثيل النيابي بزيارة القرية ليطلع الاهلين على برنامجه الانتخابي ، قطع بعض الناس عليه طريق الوصول ... فاحتج الفريق الاخر ، واصبحت القرية في هياج شديد ، وامتد هذا الشغب الى طالبات المدرسة المنجرفات في تيار الهوس السياسي ولولا حكمة المديرة تعذر على المعلمات ان يسيطرن على الصخب ، ويعدن الهدوء الى نصابه ... اما كان اجدر بان يناقشه اهل القرية بيانه الانتخابي ، بروح تقدمية جريئة فيها بعض المودة ، يحكمون العقل لا العاطفة ؟.. اني لا افهم كيف يتم ذلك ؟.. وكيف يعيش شرقنا في ايامه الحاسمة ، بعاطفته ، التي هي مصدر اكثر علله ؟.. كيف لا ، ما دامت هذه العلل تتحكم فيه وتتفاعل عبر الاجيال !.. ايجوز ان نبقى على هذا الارث البغيض ، في عصر كاد العقل فيه يسيطر على الطبيعة ،



بقلم محمود الحسينية

ونتقدم الى غياهبها ؟.. اما آن لنا ان ننتفض ونثور على الجهل ، والتقاليد ذات الفائدة العقيمة ؟.. اما آن لنا ان نتحرر ونحرر ذواتنا؟. في طريقنا الطويل رسالة تنتظرنا يا اماه !..

دعيها للاجيال الصاعدة !..

علينا قسط منها !..

اجل ، ولكنه ضعيف !..

لا انكر هذا الضعف ، فالقليل القليل ، كثير اذا ما جمع ...

اتتجاهلين عبئنا في هذه الحياة، والدك المقعد يرزح تحت وطأة الالم منذ خمس سنوات .. رصيدنا في البنك حصيلة عشر سنوات في ديار



الهجرة على وشك ان تذيبه اوراق السحب ، زراعة التفاح اضحت في لبنان كمن يطلق مدفعا ليصطاد عصفورا ... اما اصبح حقلنا عبئا علينا ؟.. لا طاقة لنا بتكاليف الري، والحرث ، والتقليم ومكافحة الحشرات ... والاشجار الباسقة سوف تضعف شيئا فشيئا حتى تموت ، وتندثر معالم الحقل ... اما اخواك فسوف لا يذكران ذلك.

عزيزتي منى : لقد افضى لي والدك عما دار بينه وبين ابو فريد من حديث ، واني انقل اليك رغبته ... حسنا يا اماه ، فكرة الزواج تدغدغ احلام كل فتاة في مثل سني ، وفريد شاب وسيم، لا بأس به له من سعة العيش ما يمكنه ان يعيش دون كبير عناء ، ولكن!..

ما عساك تقولين ؟!..

انه امي ولي آمال اصبو اليها..

منى !.. ارجوك ، لا تصدي طلبه، فهو كما تعلمين زين شباب القرية ، وليكن قبولك تضحية لي ولوالدك..

اماه !.. اذا كان ولا بد من تضحية فلتكن مما تستحق التقدير، وما تسميه تضحية ادعوه سلم الحياة ، وما قيمة الحياة اذا لم تكن تعيش على الالم وتستمد منه قوتها !.. ساقاسمك الالام والمتاعب ولن اكون عبئا عليك بعد اليوم .

وفي احد مكاتب شركات الطيران في المدينة وقفت منى الى عمل مستكتبة ، بعد سعي دام طوال شهر ، تقوم بعملها نهارا ، وتتابع تحصيلها في احد المعاهد ليلا، وفي اعماقها يلاحقها نداء امها: «التضحية يا عزيزتي» ، وصوت ابيها المتهدج لا يزال يدوي في كيانها ، حان الوقت !.. الدواء على المنضدة يا بسام !.. يا فؤاد !.. يا ليلى!.. لاشك فالعزيزة منى منهمكة، تستعد للامتحان ، فلن ازعجها ، لا تزال رائحة الدواء تملأ رئتي ، الهي !.. الهي !.. اما لهذا الليل من نهاية .

آه !.. كيف تنام العين واحشائي ميدان لآلام تتصارع ، تأبى الا تكون غالبة .. لا شيء يخفف حدتها الا ابرة مخدر يا ليلى !..

صور حية ، تعيش في كيان منى فتملأ صدرها قوة وحنينا .. لا!.. سوف ادخر من راتبي شيئا لابي... لاخوي الصغيرين في المدرسة ... لامي ... لن اقبل بعد اليوم حفلات سمر لن اذهب الى السينما ... عفوا اماه ، فالمرة الوحيدة التي قبلت الذهاب فيها الى سينما الكابيتول كانت تحت الحاح رفيقاتي لمشاهدة فيلما تاريخيا يمت بصلة لدرسنا الاسبوعي . لا !.. لن تغريني ملاهي بيروت ولن تجرفني تياراتها ، ما دامت لي ارادة قوية تعمل بسلطة العقل ويقظة الضمير فلن يتجه تفكيري الا الى الناحية النافعة من الحياة ... ساعنى بكل شيء قد ائتمنت عليه ... بنفسي .... بأفراد عائلتي ... لانني وعيت مسؤوليتي وعرفت ان الانسان اذا اراد ان يحيا الحياة التي تستحق ان يحياها ، عليه ان يعمل ، ويجد، ويكافح ، في سبيل الاحسن ، والافضل من اجل سعادته ، وسعادة المحيطين به ، ومن ينهض بنفسه ، ينهض بوطنه ... اما اولئك الفضوليون الذين يعيشون ارضاء لانانيتهم ، فهم كالحشرات الضارة ، القذرة ، لا يعيشون الا على اذى الغير .

آه !.. الهي !.. هل كان ابي فضوليا فاستحق كل هذه الآلام؟.. لا اعهده الا انسانا رقيقا ، حسن الاخلاق ، في قوله صدق ، وفي عمله اخلاص .

عقدت الحيرة لسان اهل القرية ... وسرعان ما انتشر الخبر: « منى رفضت طلب الخطوبة من فريد الفاوي » ، وغادرت منزل والديها الى المدينة ، انها تعمل مستكتبة في شركة الطيران نهارا، وتدرس في احد المعاهد الليلية استعدادا لنيل شهادة البكالوريا قسم ثان ، ما اغباها بهذا الرفض!. قليلون اولئك الذين يقولون : انها كانت على صواب فيما اقدمت عليه، مع انها لا تجهل مكانة فريد في القرية ، ويساره ... فكم من الفتيات اللواتي تمنين ان يكون فارس احلامهن ... اما قال : انه على استعداد ان يشتري لمنى عقدا من الماس ، بقيمة عشرة الاف ليرة لبنانية ، فلم يغرها عرضه ، بل رفضته بإباء ، وآثرت ان تلتحق باولئك الذين نزحوا من القرية ، واخذوا معها زهوها،وخلفوا وراءهم بيوتا تصفر في جنباتها الريح ، مقفرة ، خاوية اكثر ايام السنة ، الا من سرب من السنونو يأتي في فصل الربيع ، فيبني في الردهات والسقوف الاعشاش ، ويأخذ في التصفيق جذلا بذهابه وايابه ، في سماء القرية ، مأخوذا بطلائع الدفء في الطبيعة ..

ما اشبه اولئك النازحين ، بهذا السرب ، ينشدون سعادتهم مثله في افق فسيح الامل، انهم يعملون بغبطة علهم يعوضون ما فات من بوار مواسمهم ...

اما كان جدير ان تسكن منى منزلا فسيحا يعممه القرميد الاحمر ؟.. من ان تنزل في غرفة حقيرة الاثاث في ضاحية المدينة مع عائلة نازحة؟.

اجل ... ان لهذه العائلة معها علاقات طيبة تقوم على الود والاحترام المتبادل !.. ووثائق المودة تتشابك احيانا وتتماسك اكثر من وشائج القربى ... ان بينهما صلات من افكار منسجمة ، وشعور موحد نحو ابناء قرية جرفتهم الهجرة !...

وقد اساء بعض الناس فهم هذه العلاقة فرددت القرية صدى هذا الخطأ ... وحز في نفس والديها ان تنال من كرامتها اشاعة مغرضة، فطلبا من منى مغادرة المدينة فورا.

ــ لا يا ابتي سابقى في المدينة رغم السنة السوء التي لحقت بي الى المكتب والمعهد حيث أقوم بعملي مع ما يمليه الضمير تحت سلطان العقل .

لا !.. لن اغادر عملي !.. لن اغادر المعهد ما دامت لي ارادة وفكر، ساعمل ما دام لي حب العمل، انني انتظر نتيجة امتحان شهادة البكالوريا القسم الثاني ، وقد اجتزته بكل طمأنينة ، املي كبير في الفوز، لن اعود اليكم هذا الشهر رغم شوقي لكم لانني ساضيف الى عملي عملا آخر ، اقوم فيه بعمل صحفي في مجلة عالم المراة الاسبوعية .

اما فريد واماله المضاعف بعد اجتيازي المرحلة الدراسية ، اذ اصبح يعودكم كل يوم مكررا الطلب، يجب ان يبدد من راسه هذا الحلم الذي يراه جميلا ، اني ارفض كل زواج لا يقوم على التجانس والتكافؤ، « فالمحبة كالضمير ، احرى بها ان ترشد وتقاد ، لا ان تجر، وتغتصب، واولئك الذين يتزوجون من لايحبون، يحبون غير من يتزوجون !.. » كان على والدي ان يضع حدا لهذه المساومات على الحرية ، والافتئات على الكرامة ، فالرباط المقدس الذي يوافق عليه سلفا ، مع عزيزتي الوالدة ، يجب ان يسمو الى ما فوق المادة ، بعد ان امنت براتبي نفقات البيت المتنوعة .

ابتي سوف لا اعمل ان يكون لنا سكن هنا ولو تيسر لي ذلك .. ساعلم اخوي ورفيقاتي حب القرية والعمل فيها .. اني مكرهة ان اعيش بعيدة عنكم ، فتتبعوا موضوعاتي ، وآرائي الصريحة في « عالم المراة»، سانقل صورا حية من الحياة ، عن واقعنا ، وامراضنا ، ولا بأس اذا قرأتم قصة «منى» ففيها عظة لبنات جيلها تعلمهن ان يبتسمن للالم ، للحياة مهما تجهمت واربدت ، « فالحياة للمناضلات » ...اللواتي يتغلبن على عواطفهن بترويض الارادة، وتمرسها باعمال بناءة ، ويتحلين بحسن الاناة ، والعلم ، والفضيلة .

فـراق

قد افترقنا ، فهيهات اللقاء غـدا — فالقلب مل الجوى،والصد والكمدا
مللت حبك حرمـــانـــا يمزقـــني — وخيبة ، وجوى لهفان .. متقدا
سئمت حبك ، لا روحي بهسعدت — ولا ارى جسدي يوما به سعـدا
غدا سأبعد عن دنـيـاك مكتئبـــا — ولا تلومي حبيبا عنك ان بعـــدا
غدا سامحوك من افقي، ومن خلدي — فلا تظني تلاقينا يكون غـــــدا
غدا سأنساك ، لا ذكرى تعـذبني — ولا حنين لماض ضاع ، وافتقـدا

يا انت ، يا حلما قدسته زمنـــا — اذا به صنم مـن ضلتي عبـــدا
عشنا فما جمع الاشواق معبدنـــا — ولا تآلف روحانـــا ، ولا اتحـدا
اقمت للحب في قلبـي معـــابده — وقلبك الكافر الضليل ما سجدا
ورضت قلبك ازمانا فمـــا رشدا — لكن كريم فعالي محسنـــا جحدا
علام ابكيك ؟ لا ماضيك اسعدني — ولا الاماني بنت مستقبـلا رغـدا
علم ابكيك ؟ لـلالام تـرهقـــني — ام للاماني التي ضيعتهـــا بددا
ام للجراح التي اعيا الطبيب لهـا — برء ، ويجهد كي يلقى، وما وجدا
ام للدموع بليل السهد اذرفهـــا — ام للافاويق من عمري تضيع سدى
كم جئت، والشوق يضنيني تلهبه — وعدت اظمأ ما بللت منـه صدى
كم جئت اشكو اليك السهد يسقمني — فما عطفت على الصب الذي سهدا
وكم رجوتك برءا للجراح ، فمـا — شفيتها كرما ، بل عفتهـا صلـدا
وكم سكبت اغاريدي بسمعك، ما — وجدت يوما لها في مسمعيك صدى
فعدت للخيبة النكراء ، لا امل — ولا اليف ، لاحيا العمـر منفردا
رجعت والقلب مفؤود ، يعـذبني — والروح كلمى ، وداء خالط الكبدا
رجعت ، والندم القاسي يمزقني — واليأس ظللني ليلا ، بدون هدى
رجعت احمـــل آلامي فتثـقلني — واستعين بصبري ، وهو قد نفدا
ابدي التجلد ، والايام مـــا تركت — من المصائب لي-رغم الصبا-جلدا
مات الهوى في فؤادي، كيف أبعثه — حيا ، والهب شوقي بعدما خمدا

حمص — **شكري الهلال**

وقد اخطأ من قال : « التعليم العالي غير ضروري للفتاة » !.. اذ كيف يسمو مجتمع باوضاعه ، ويزدهي ان كان مرشده نصف امي ؟.. ومـن من مرشد ومرب غيـــر الام !؟.. والمرشد يجب ان يكون اغزر علمـا واعلى ثقافة ممن يثقف ، ويرشد..

اما الحب يجب ان ينير العقل طريقه ليكون طاقة خير ، يجب ان ينبـع مـن معيـنين متكافئيـــن سالب وموجب ... وغدا عندما تقرأ بعض اعداد المراة تدرك يا ابتي انني ضحيت حيث توجب التضحية ، وتدرك انني لم ارفض فكرة الزواج ، بل ارفض الزواج الذي يقوم على المـــال وحده ... وبت منذ الان انتظـــر الحدث السعيد الذي يدغـــدغ احلامي ... سأكتب لك عنـه في وقت قصير، ولكنه لا يكون له قصة تنشر لانه اكثر تكافؤا .

محمود الحسنيه

شاعر الشمس

في رثاء عبد الباسط الصوفي

انا قرب السرير ، انسج يا امي من شحوب المساء
وغدا انزوي وتمشين للقبر وتصحو الخطا على اشلائي
عبد الباسط الصوفي – من قصيدة له بعنوان « أم »

* * *

بعيدا ... توليت يا شاعري
بعيدا .. شهقت فكان انتهاء
وخلفتنا ، ههنا ، في السكون
نقول : تردى ولن يستفيق
ويا غربة الروح ضلت وتاهت
وللموت ، اما تراخى الزمان ،
يطيش ، ارتماء ، على بلبل
ويبحث عن زهرة ضوعت
تراه اصطفاك .. الم يزدجر
ونحن هنا .. ما نزال انتظارا
ولهفة حب سحيق القرار
يعذبنا الليل ، لا نستريح
ونسأل كيف يكون اللقاء
نحدق في جبهة المستحيل
ونفتح اعيننا الشاحبات
ايا شاعر الشمس . . اين الندامى
وأين الكؤوس تدار رحيقا
وأين انسراح الليالي العميق
وأين انطلاق الاماني السخي
صمت . . . فأين الشفاه اللواتي
وأين القوافي تفيض انهمارا
وأين الصديقة تروي الحكايا
بعيدا .. توليت يا شاعري
تعريت حتى لمحت الوجود
وادركت لغو الحياة التي
ورفرفت .. يا شعلة طأطأت
عبرت .. فكان العطاء العظيم

وفي لجة الامل العاثر
يغلغل عبر المدى السادر
نلوك ظنون الاسى الغادر
فيا وحشة الشاعر الشاعر
ويا غفوة الجسد الطاهر
جنون على خفقة الهادر
ويركض خلف الشذى النادر
ليحصد في فجرها الباكر
أما ذاق من لذة الاخر(١)
وشوقا الى طلعة السامر
ودمعة وجد من الناظر
ونصحو على حلم غامر ..
ونفنى ، احتراقا ، الى الزائر
نشد على جرحنا الفائر
على ضحكة القدر الساخر
وأين اصطفاق الهوى العاطر ؟
وتسطو على صحوة الخاطر . . ؟
وأين لحون الغد الزاهر
يعربد في حسنا الساهر
يغنين بعدك يا طائري
وترقص في شعرك الساحر
وتنهل من حبك الماطر ؟
وفي لجة الامل العاثر
عريا على لونه السافر
نعيش على سرها الحائر
من حبها المضرم الثائر
فيا لك من شاعر عابر

---

(١) اشارة الى موت الشاعر لمرهف عبد السلام عيون السود .

حمص **ممدوح السكاف**



... وقصـــص اخـــرى

تأليف سميرة عزام ـ مجموعة قصص ـ الغلاف من تصميم الاخوان شموط ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيـروت .

في الادب العربي المعاصر ظاهرة تسترعي الانتباه ، قل ان يكون لها في الاداب الاخرى نظير ، تلك هي ان كتاب القصة القصيرة عندنا سرعان ما يتحولون الى روائيين !

ومرد ذلك ، فى رأيي ، الى عزوف القراء عامة عن اقتناء الكتـب الجامعة للاقاصيص القصيرة التي سبق نشرها في الصحف او المجلات (١) ، واقبالهم على الروايات المطولة ، فان فيها حياة متكاملة اقـرب الى الواقع بامتداد احداثه وبمختلف ظروفه وملابساته .

ولعل اكثر القصصيين ولاء للقصة القصيرة محمود تيمور ، الا في القليل من المطولات او المسرحيات التي وضع .. واشهر المتحولين الى الرواية نجيب محفوظ .. واما الاديبة سميرة عزام ، اذا شئنـا ضمها الى احد الفريقين ، فانها لم تتحول ـ بعد ـ عن الاقصوصـة الروائية الغربية الى العربية (٢) ، وفى ذلك ما فيه من صرف لها عـن معالجة الاقصوصة من حيث المآل .

وسميرة عزام من قصاصينا الموهوبين ما فى ذلك من شـك ، وهي ذات طريقة متميزة فى معالجة القصة ، رشيقة الاسلوب ، غزيرة الانتاج اول عهدها بالكتابة (٣) ...

واذا شئنا ان نبين ان لمعالجة الاقصوصة اتجاهين متمايزيـن : الاول يعني بـ « العالم الخارجي » للشخوص ويرتكز على العقدة، ويمثله غي دي موباسان ، والاخر نفسي يصب اهتمامه جميعا على « العـالم الداخلي » للبطل الرئيسي الذي يلتهم كل من عداه من شخوص القصة، وعميد هذا الاتجاه انطون تشيخوف العظيم ، الذي قدر النقاد موهبته بعد وفاته ، فأصعدوه السدة ، وما يزال هناك الى ان تهب المقاديـر ادب القصة مجددا جديدا .

اقول :اذا شئنا ذكر هذين الاتجاهين ، فالى اي منهما تراها سميرة عـزام ؟

لست اشك في انها تنتمي الى الاتجاه التشيخوفي ، ثم تضفـي عليه من خصائصها الذاتية ما يجعلها متميزة الشخصية بما تنفـرد به من مزايا ومن مزالق على حد سواء .

ان اهتمام سميرة بـ « اللحظة النفسية » للبطل يبدو جليا فـي اقاصيصها ، واكاد اقول في اقاصيصها جميعا دون ما استثناء . ذلك ان الامتداد الزمني في قصتها متقاصر ، مضغوط ، مفصل على قد الحادثة لا يكاد ينقص او يزيد . وكذلك تراوح عدد صفحات كل قصة مـن اقاصيصها ما بين الخمس والسبع على وجه التقريب .

وخلت القصة عندها ـ تبعا لذلك ـ من الخاتمة الباهرة او المفاجاة المذهلة ، فذلك عهده قد انقضى ، وانما القصة اليوم رصـد لومضة نفسية تلتمع في « داخل » البطل ، ثم يتلاشى التماعها ـ مع نهاية القصة ـ في ضياع فني ، هو نفسه الضياع الذي نعانيه في واقعنا المعاش مائة مرة في اليوم الواحد ... حيث تشرق في نفوسنا شمس الامال ، ثم لا تلبث ان تغيب ، غائصة في بحران من اليـأس والقنـوط .

ورصد هذه الومضة النفسية يتقاضى المؤلف ، عناية خاصة في اختيار الزاوية والبعد اللذين يتحتم عليه ان يتخذهمـا مرصدا للقصة دون سواهما من الزوايـا والابعاد . وليس يتيسر النجاح للقصـة السيكولوجية من هذا النوع ما لم يتزود المؤلف بكامل عدته ، متخذا طريقه الـى « داخل » البطل ، حيث يقبع طي نفسه ، ليرصد فيها الخلجات والهاجسات ، مصطفيا منها ما تقتضيه الضرورات الفنية وحـدها .

وكثيرا ما ضاعت هوية البطل في احتدام السرد ، فاذا هو لا يعرف له وصف ظاهر ، الا من خلال ما يجول في ذهنه من خواطر قـد تنعكس عليها اوصافه الظاهرة عفويا .. بل هو لا يعرف له « اسم » ، الا من خلال مخاطبة شخوص القصة له ان كان في القصة من حوار .

وان المؤلف ، ليلجأ عند الاشارة الى البطل ، الى استخدام ضمير الغائب الدال عليه .. مثال ذلك مطلع القصة الموسومة بـ « هواجس »

« كانت (تتوسل) وهي تنفض عنها الغطاء ان تطرد هذا الالـم الذي يقبض على نفسها باصابع سوداء ويأكل قلبها الصغير ، ويثبت امام عينيها تلك الصورة الفظيعة التي تصدت لها ككابوس شرس . ولم تغنها انتفاضتها شيئا . فالوجه .. الخ » (٤) .

ويا ليت كتاب القصة السيكولوجية عندنا يدركون كم هو عسير وزلق سلوك هذه الطريق ، وان اقل تهاون او اهمال يحرف القصـة عن جوها النفسي السليم ! وياله من جهد بذله الرواد الاول لهـذه الطريق : هنري جيمس وجيمس جويس ودورثي ريتشاردسون ، وسائر القافلـة ...

فهل تبينت القاصة سميرة عزام معالم هذه الطريق ، وادركـت اسرارهـا ؟

اكاد اقول ، في اخلاصها للقصة القصيرة ، انها قد وفت هـذه الطريقة حقها من الدرس ، ووضعت يدها على اسرارها ، وما رايتهـا تنحرف ـ في ظني ـ الا مرة في قصتها « ليلة الضياع » احـدى اقاصيص المجموعة .

فقد توخت سميرة رصد هذه القصة من « خلال » مشاعر الحملة المعذبة ، فهي تتذكر محاولات كنتها في اذلال كلب الدار العجوز بوضعه في كيس والقائه بعيدا عن الدار ، فان عاد فليس له الا البحر يلقى فيه حتفه ... والحماة ، ترى في تضييع كلب الدار العجوز ، تضييعا لها هي سيدة الدار العجوز !

---

١ ـ الا ان تكون هذه المجاميع مشحونة بعناصر الاثارة الرخيصة فذلك يشفع بمزيد من رواج ... كما هو الحال عند فئة من الكتـاب انتاجهم سيد لسوق الوراقة بلا منـازع !!! ـ ٢ ـ نقلت ، حتـى اليوم ، عن الانكليزية روايتين لبيرل باك : « جناح النساء » «وريـح الشرق وريح الغرب » ، كما نقلت « دد زورث » لسنكلر لويس .

٣ ـ لسنا ننسى ما مضى من سنين يوم كانت توافي مجلـة « الاديب بقصة في كل عدد ، وقد جمعت بعضها في مجموعتين صدرتا في ١٩٥٤ و ١٩٥٦ هما : « اشياء صغيرة » «والظل الكبير » ... وها هي ذي تطلع على القراء مؤخرا بمجموعتها الجديدة : « ... وقصص اخرى » ، موضوع كلمتنا هذه ، وهي من نشر دار الطليعة ببيروت .

٤ ـ مجموعة « .. وقصص اخرى » ، الصفحة : ٧ .

القصة انثيال مع « تيار وعي » الحماة ، ترصد تخيلاتها وتصوراتها كما ترصد تصورات سائر الشخوص ولكن من خلال تيار وعي الحماة ذاتها . وجاءت القصة تشير الى البطلة بضمير الغائبة على هذه الصورة « كان حفيدها ... » ، « وجمدت تتأمل ... » ، « وتمثلت صورته (اي صورة ابنها) ... » ، « وارتمت ضحكته عليها ... ».

بيد ان المؤلفة تترك ، في صفحة من صفحات القصة ، تيار وعي الحماة ، مولية وجهها شطرا اخر :

« كان هذا التعاطف بين عجوزين اكثر ما يؤذي الكنة ، فقد كرهت ان ترى الحماة مطمئنة الى هذا الحيوان ، فجعلت من هذا مجال تندر يسمح لها (ان تقول بسمع) من الحماة : ان الحيوانات تخرف ايضا ... فيضحك زوجها برقاعة كأن المعنية جارة لا ام .

« ولم يظل الامر محصورا في تندرها . فقد كانت دائما مستعدة ان تحول عواطفها الى احساسات معادية تعبر عنها حركات رجليها وهي ترفس الكلب ...

« وكانت تردد دائما انها ليست مستعدة ان تتحمل في البيت خرفين ... » (٥) .

لقد كان بوسع المؤلفة — لو هي رغبت في تحاشي هذا المزلق الفني — ان تصوغ هذه الفقرات على الشكل التالي :

« كان هذا التعاطف بينها وبين الكلب العجوز اكثر ما يؤذي كنتها ، فقد كرهت ان تراها مطمئنة الى هذا الحيوان ، فجعلت من هذا مجال تندر يسمح لها بان تقول على مسمع منها : ان الحيوانات تخرف ايضا .. فيضحك ابنها برقاعة وكأن المعنية جارة لا ام .. » .

فضمير الغائب ينبغي ان يعود هنا على الحماة — البطلة — في هذه الفقرات ، كما في سائر فقرات القصة . وانما هذه العناية البالغة من جانب المؤلف برصد هواجس البطل ، هي التي تستهوي القاريء المتتبع ، حيث يتاح له ان يلمس بيده مشكلة البطل ، فيستكشف ازمته ليعاني تجربته النفسية . هذه الازمة في قصتنا ، هي : عجوز خرفة تعاني من كنتها الاضطهاد والتعذيب ، وترى في تضييع الكلب ضياعا لهـا !!

وايا ما كان من امر هذه الزلة الفنية الصغيرة ، فان القاصة سميرة عزام معنية غاية العناية برصد الهاجسات النفسية لابطال قصصها . واقول انها في طليعة كتاب القصة العرب الذين وقفوا فنهم القصصي على هذه الطريقة واخلصوا لها الى حد بعيد .

وتمتاز سميرة عزام برشاقة السرد ، وايجاز العبارة ، فانها قادرة على الاحاطة بالجو النفسي للقصة في صفحات معدودات . ولعل امتع قصصها واطرفها تلك المسماة « اريد ماء » بما تستكشفه من نفس مرهفة لتلميذة في القسم الداخلي ، دخلت — البلوغ — على فجاءة وداهمها « الطوفان الاحمر » — كما تسميه المؤلفة — فاذا هي فزعة من امرها ، خائفة من ان تكتشف زميلاتها سرها « الاحمر » فيفضحنها بين البنات ، فتمسك احداهن بذيل ثوبها وتقول : — اظن ان من الضروري ان تري الاخت مارتا لتقول لك من انك لم تعودي صغيرة — او تقول اخرى مخاطبة زميلاتها : — دعنها وشأنها يا بنات .. لقد اصبحت امرأة ! (٦) ... هؤلاء الخبيثات !!

والموقف ، الذي انطلقت منه المؤلفة في قصتها هذه ، ازمة تعانيها الفتاة وهي في سريرها في مهجع المدرسة ، تصلها رسالة من اهلها بان اخاها الوحيد مريض . ولما كانت قد تناولت القربان ، من ايام في كنيسة المدرسة ، وهي في غير طهارة — اذ خجلت ان تبدي امام زميلاتها عذرها الاحمر — فقد داخلها اليقين بان مرض اخيها انما هو كفارة كبرى لخطيئتها ، — فهو لا يفقد ذنوب الاباء في الابناء فقط ، كما تقول الاخت في حصة الديانة ... بل — يفتقد — ذنوب الاخوة في الاخوة ... — وسوف يتساءل ابوها وامها والطبيب طويلا عن سبب مرض اخيها ، ولن يعرفوا ، ولكنها وحدها التي تعرف السبب .. ويا له من هول وعذاب تقاسيهما الفتاة في ليلتها الليلاء ! (٧) .

ويظل التوفيق يواكب القاصة سميرة عزام في اقاصيص هذه المجموعة ، فكأنما خلق قلمها لهذا الضرب من الفن القصصي ، اعني ذلك الذي يعتمد على « اللحظة النفسية » . فاذا شاءت ان تتجاوز هذا الضرب ، كان الاخفاق لها بالمرصاد . لست متجنيا فيما اذهب اليه من زعم ، أأعطيكم مثالا ؟

في المجموعة قصتان ناشزتان عن هذا المضمار : « عندما تمرض الزوجات » و « خبز الفداء » .

الاولى تمثيلية ، او هي بعبارة ادق : حوارية للاذاعة . ولئن كان الحوار فيها رشيقا ، الا ان موضوعها بدا قريب المعنى على طولها الذي شغل ست عشر صفحة (٨) ، وتخرج بداهة اللحظة النفسية من نطاق التمثيليات ، تلك اللحظة التي تبرع فيها سميرة .

فاما « خبز الفداء » ، فانها لا تعتمد اللحظة النفسية هيكلا لها ، كما في سائر قصص المجموعة . ولعل الكاتبة ارادت ان تمد في نفسها القصصي من قبيل التجريب ، فحشدت في قصتها الحوادث والاحداث — بطريق التذكر والتداعي — وامتد الزمن من « اللحظة » الى الاسابيع المتعاقبة .. فضاعت اللحظة النفسية المركزة ، وغدت القصة رواية مختصرة . وذلك ليس الورد الفني الذي ترده سميرة في شيء .

بيد ان ثمة قصتين اخريين ، بالرغم من ان المؤلفة لم تحد فيهما عن طريقها الفني ، الا انها لم توفق في اختيار الزاوية الحرية بان تتخذ مرصدا .

فقصة « المسافر » ترصد الم اسرة تودع في المطار رجلها المسافر الى البرازيل . ولقد كانت الحاجة الفنية تقتضي رصد الام الفراق من داخل احد المودعين ، ام المسافر مثلا ... اما ان ترصد الالام من خلال مشاعر تراقب المودعين من بعيد ، ففيه قسر وارهاق ضيعا المشاركة الوجدانية ما بين القصة وقارئها .

وقصة « طالعة نازلة » ، ترصد انشداه طفلة صغيرة تبيع « العلكة » ، ازاء لعبة طريفة مذهلة تراها في واجهة احد محال بيع اللعب ، وتمنيها ، وضياع التمني هباء ... هذا الانشداه والتمني ، هل يساغ رصدهما من قبل بائع الصحف الذي يراقب حركات الطفلة وسكناتها الظاهرة ؟!

واراني — بعد هذه النقدات — حريصا على ابداء ملاحظة عريضة على قصص المجموعة السبع عشرة كلها . تلك هي « السوداوية » تخيم على جو القصص ، فاذا القصص تلقي في النفس بعد القراءة ظلال اليأس والقنوط .

انا مقر بما « للسلبية » من وقع جمالي في النفوس . ولكن للايجابية وقعها الجمالي ايضا ، اذا ما احسن تدبر الخاتمة الجميلة . ومهما يكن ، فالقاص غير متحلل من واجب غرس بذور التفاؤل والثقة وحب الحياة في القلوب اليائسة المعذبة . فكما ان للحياة وجهها العابس ، فلها وجهها المشرق البسام .

وقصص سميرة عابسة المضمون دائما . واليكم نماذج من هذا العبوس :

---

٥ — المجموعة ، ص : ٢٠ .

٦ — المجموعة : ١٣٢ — ٧ — تذكرني هذه القصة باخرى مماثلة تعالج احاسيس الهول والعذاب لدى طفلة صغيرة ، بالمستوى الفني الناجح ذاته . عنوان القصة « انيسة » للقاص يوسف الشاروني في عدد تشرين الاول ١٩٥٤ من مجلة « الاداب » . — ٨ — يقيني ان المؤلفة ما كتبت هذه القطعة الا تحت الحاح الاذاعة التي تعمل فيها . وكم جنت الاذاعة — كاختها الصحافة — على ادباء اوردتهم موارد لا تألفها طبائعهم ولا تتسق مع استعداداتهم الفنية !

طفلة في ملجأ الايتام تعاني ، بعد موت امها ، الوحشة والضياع..
حماة عجوز تعاني من تعذيب كنتها لها ...

اب يهرب بطفله من حدود الارض السليبة ، فاذا رصاصة غادرة تصيب الطفل ، وهو بين يديه في مقتل ...

طفل مولع بديك ، يعود الى البيت يوما ليجده مذبوحا مطبوخا..

شاب يطلب عملا في شركة ، فيعود بخفي حنين ...

امرأة تستمع الى المذياع يحمل اخبار فيضان عارم يزهق الارواح ويهدم البيوت ...

فتاة ترغب في بيع ليتر من دمها بثمن هي بحاجة اليه ، فتردخائبة

مجاهد في جيش الانقاذ يحب ممرضة ، فتقتل بينا هي تحمل الخبز الى المجاهدين .. الخ (٩) .

لقد بحثت ، في المجموعة ، عبثا عن امل باسم ، عن بصيص امل عن ابتسامة ولو باهتة ناصلة . كانت السوداوية تطغى على القصص وتضفي جوا مشحونا باليأس .. فلم ذلك كله ؟ لم ؟

اقول : عبثا حاولت البحث في المجموعة عن بصيص امل . استغفر الادب ، لقد وقعت بعد التحري على ابتسامتين اثنتين ، كانتا متخفيتين في التضاعيف ، ها هما تان : في « اطفال الاخرين » ، الزوجان لاينجبان بسبب العقم .. الزوجة دائبة الاطلال من النافذة متفرجة على المدرسة المجاورة .. يأس وقنوط يشيعان في جو القصة .. ثم تنغلق القصة على امل ، امل ما : « ... وابتعد عن النافذة .. وخلاها مفتوحة للصغار ... والامل .. » . (١٠) .

وفي « صبي الكواء » ، يقوم الصبي « رزق » في غفلة من معلمه بمحاولة كي ثياب العملاء ، رغم تحذيرات معلمه . فاذا هو يحرق القميص ، قميص الاستاذ خليل ، الزبون الاريحي الذي يجزل له المنح . ويخاف الصبي ان يناله من معلمه الاذى ، فيبكي هلعا ، الا انه يتراءى له الاستاذ خليل وهو يبتسم ويقول : – لا باس على القميص يا رزق ما دمت قد حاولت ان تصير معلما – . (١١)

وبعد .. هل لنا ان نقرأ للاديبة سميرة عزام مجموعة قصصية جديدة ، تتسع في اجوائها البسمات وتنفسح الامال ؟؟؟ ذلك اذا ظلت على ولائها للاقصوصة ، فلم تهجرها الى الرواية ، وضعا وترجمة !

حلب — فاضل السباعي

مقام العقل عند العرب

تأليف قدري طوقان – (؟) صفحة – منشورات دار المعارف بمصر

مقام العقل عند العرب هو الكتاب الجديد الذي يقدمه الاستاذ قدري طوقان للمكتبة العربية ، وهو الكتاب السادس عشر في سلسلة المؤلفات القيمة التي انتجها قلم هذا العلامة الاردني وأتحف بها مكتبتنا العربية فزادها غنى وعلما وثقافة .

وليس الاستاذ طوقان بحاجة الى تعريف ، فقد تجاوزت شهرته حدود العالم العربي وامتدت حيثما امتد الكتاب العربي عنوان النهضة الثقافية في بلاد العرب . ولقد نجح في ميدان السياسة ونجح في حقل التربية كمدير لكلية النجاح الوطنية بنابلس . ولكن جهوده في ميدان البحث والتأليف تسجل نجاحا اوسع دائرة واعم نفعا ، خاصة لانها تنبع عن موهبة طبيعية وقابلية عقلية لا يملك مثلها كثيرون بيننا .

وقد وضع المؤلف كتابه هذا ليدلل على حفاوة العلماء العرب بالعقل وتقديرهم لاهميته ومحاربتهم للتنجيم والخرافات ، وهو يقرر ان اولئك العلماء كانوا يحتكمون الى العقل ويحاجون بحكمه ويقررون ما يرشد اليه ، ويعملون بدليله . بل انهم اخضعوا الادب والتشريع للعقل ، وساروا في اساليبهم وفي معالجتهم القضايا على اساس العقل والمنطق دون ان يعبأوا بالعراقيل والتقاليد والعوائق ، وبذلك تمكنوا من تطهير علم الفلك من ادران التنجيم ، وصححوا الكثير من الاراء التي جاء بها فلاسفة اليونان ، حتى عرف مذهبهم في ذلك بالطريقة العربية القائمة على جعل العقل مرجعا وحكما ودليلا .

ويقول المؤلف انه كان لهذه الطريقة اكبر الاثر في التقدم الذي اصاب المعرفة والانسانية ، وانها دفعت الفكر الى افاق ومجالات هيأت العقول للتفكير العلمي الحديث ، فقد بلغ تمجيد العرب للعقل حدا دفعهم الى القول ان الله عقل وهو المصدر لجميع العقول .

قسم المؤلف كتابه الى خمسة ابواب . فتحدث في الباب الاول عن العقل في الاسلام وما ورد في القرآن الكريم من ايات عن العقل تحله منزلا ساميا وتطالب الناس باستعماله والتحاكم اليه وبين ان الاسلام قد اكبر العقل اكبارا دونه اي اكبار ، وانه دعا الى تعظيمه واجلاله والرجوع اليه . واورد للتدليل على ذلك مجموعة طيبة من الايات الجامعات . وتحدث عن مقام العقل عند الرسول وانه رأى فيه اصل الدين واساسه وان لا دين لمن لا عقل له . وان الله لا ياخذ بالعقل ويعطي به ويثيب ويعاقب على اساسه . وان اعزاز الرسول للعلم وتقديره للمشتغلين فيه بلغ حد تفضيله العلم على العبادة . ولقد احتذى الصحابة والفقهاء والحكماء حذو الرسول في اعتبار العقل ، فاخذوا بالقياس والاجتهاد وهما اعمال العقل واعطاؤه الحرية والرجوع اليه والتوصل الى المعقول بالنظر والاستدلال . ويبدو تقدير الاسلام للعقل واضحا عند جماعة اخوان الصفاء ، ففي رسائلهم الاحدى والخمسين دعوة صريحة الى استعمال العقل وانعام النظر واعمال الفكر . ذلك واضح في قلوبهم ان العقل اشرف الموجودات وافضلها بعد الباري عز وجل .

وينتقل المؤلف في الباب الثاني الى الحديث عن الاجتهاد في الاسلام ، فيبين تأييد الدين للاجتهاد وحرية العقل والرأي في الاسلام . ولقد حث القرآن وحثت الاحاديث على الاجتهاد وهو النظر العقلي في المسائل الشرعية ، وهكذا فتح الاجتهاد باب حرية العقل وحرية الرأي ، وبلغ الامر ببعض الفقهاء ورجال الدين الى القول (ان من اصول الاسلام النظر العقلي لتحصيل الايمان وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض) لذلك يرى المؤلف ان الوقوف عند اجتهاد الاقدمين استهتار بالعقل واستهانة بحقوقه مدللا على ذلك باراء جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده . ويخلص الى القول ان الاجتهاد واجب على المستوفين لشروط الاجتهاد ، وان الاسلام يدعو الى فتح ابواب الاجتهاد وان الاساس في الاجتهاد هو العقل والمصلحة العامة والخير المشترك .

وفي الباب الثالث من الكتاب بحث عن سلطان العقل عند المعتزلة الذين كانوا قادة الحرية في الرأي ومن اعظم المصلحين الدينيين في القرن الثاني للهجرة ، وهم الذين مهدوا الطريق لمن اتى بعدهم من

٩ – اوردت فكرات هذه القصص الثمانية حسب تسلسلها في المجموعة . – ١٠ – المجموعة : ١٢٧ – ١١ – المجموعة : ١٨٩ .

اخوان الصفاء وفلاسفة العرب والاسلام ، وكانوا يتوخون في كتابة الحقيقة والوصول الى الحق ، وقالوا بسلطان العقل في معرفة الخير والشر وان الحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل ، كما أنهم رفضوا ان يكون الانسان العاقل مجرد الة صماء لا رأي لها ولا حرية ولا اختيار . وظهر في المعتزلة مفكرون من الطراز الاول امثال واصل بن عطاء وعمر بن عبيد والعلاف والنظام . وكان الجاحظ من المقدمين في الاعتزال وهو مخلص للحق محب للمعرفة شغوف بالصدق والانصاف ويتجلى ذلك في مقدمة كتاب الحيوان حيث قال (جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت وزين في عينيك الانصاف ، واذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق) ، وكان الجاحظ يهزأ بالخرافات والاراء الشائعة غير المعقولة . وقد قال عنه ابن العميد « ان كتب الجاحظ تعلم العقل اولا والادب ثانيا » . ويرى المؤلف ان احياء روح المعتزلة يوجد الجرأة ويفتح الافاق امام الفكر فلا تقوم معها حركات رجعية تكبت الفكر وتجمده ، واذا سادت روح المعتزلة بين الناس لنعموا بحياة آمنة تزدهر القيم الخلقية والانسانية فيها وتسود المبادىء التي تؤدي الى التقدم والانتاج والاثمار .

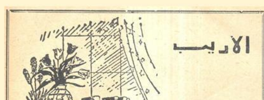
وينتقل المؤلف الى الباب الرابع فيحدثنا عن مقام العقل عند اثنى عشر عالما وفيلسوفا وحكيما من المقدمين العرب في تاريخ تقدم الفكر بينهم الرازي والفارابي وابن سيناء والمعري وابن خلدون . وفي هذا الباب عرض موجز دقيق لما بذل كل واحد من هؤلاء في مضمار التقدم الفكري القائم على التحكيم العقلي ، ويعطي امثلة من مؤلفاتهم واقوالهم تدل على ما كان للعقل عندهم من اعزاز واعتبار .

اما في الباب الخامس فيبحث المؤلف النزعة العلمية في التراث العربي وكيف كان كثيرون من المفكرين العرب يسيرون في أساليبهم على أساس المنطق . ولقد اقتبس الغرب فلسفة ابن رشد بكاملها وكان من حسناتها ان حلت عقال الفكر الاوروبي وفتحت امامه ابواب البحث والمناقشة على مصاريعها . حتى ان بعض الفلاسفة رأوا ان فلسفة ابن رشد تركت اكبر الاثر في اوروبا واخرجتها من ظلمات التقليد الى نور العقل والفكر . ويتجلى الاخلاص للحق في مصنفات ابن الهيثم وحرصه على طلب الحق والعدل كما تتجلى الروح العلمية الصحيحة في ابحاث هذا العالم العربي وغيره من علماء العرب المشاهير .

ويختتم المؤلف كتابه بالقول المسند بالبراهين ان العرب كانوا حلقة مهمة في حضارة الانسان ، وانهم علموا اوروبا طريقة جديدة للبحث وضعت العقل فوق السلطة ونادت بوجوب البحث المستقل والتجربة ، ويخلص من هذا القول ان العرب في هذا العصر هم باشد الحاجة الى الروح التي تجلت في تراثهم القديم ، وان التقدم لا يصل اليهم الا على جسر من حرية الفكر ، وهو يعتقد انه لن يقدر لمواهب العرب ان تتحرك ولا لقابلياتهم ان تثمر وتنتج ولا لمجتمعهم ان ينهض الا اذا تحرروا تحررا كاملا من الاستعمار الذي يقوم على الارهاق والضغط وكبت الحرية الفكرية وتجميد المواهب وانه لن يقدر للعرب ان يتقدموا الا اذا آمنوا بحرية الفكر وطبقوها .

وخلاصة القول ان الاستاذ قدري طوقان استطاع في هذا الكتاب ان يوضح بكل جلاء ما كان من اعزاز العرب للعقل وتمجيده وهو بهذا ينفي عن العرب تهما كثيرة حاول ان يلصقها بهم المغرضون من المفكرين الغربيين . وتتجلى في سطور الكتاب ما يتمتع به علامتنا الاردني من سعة اطلاع وسلامة تفكير ، وان جهوده في خدمة العلم والحقيقة يمكن ان تعتبر حلقة جديدة تصل بين الروح العقلية التي سادت عند العرب في الماضي والروح الجديدة التي تبدو تباشيرها عندنا في هذه المرحلة من مراحل النهضة العربية الحديثة .

عمان — سليمان موسى



⊙

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩
Tél. Direc : 23819 — Dle : 25139

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان



● حضارة عام ١٩٧٥ – تأليف جان فوراستيه استاذ في الكونسرفاتوار الوطني للفنون والصنائع ومدير الابحاث في المعهد التدريبي للدراسات العليا في فرنسا – ترجمة احمد دمشقية – الغلاف من تصميم انطوان مشحور – ١٦٤ صفحة – منشورات عويدات ببيروت – مطبعة عيتاني الجديدة ببيروت

● المعلم – تأليف فاضل سعيد عقل – الانسان امام معضلات الخليقة ، السلسلة الاولى : نفحة من الله ، الكتاب الاول – مع عدة لوحات فنية بريشة سعيد ا. عقل – ١٢٠ صفحة – مطابع البيرق بيروت .

● القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١١٠٠ م) – تأليف ارشيبالد لويس – ترجمة احمد محمد عيسى – مراجعة وتقديم شفيق غربال مصمم الغلاف مهندس الديكور محيي ابو ذكرى – ٤٣٢ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر (؟)

● البحث عن اليقين – تأليف جون ديوي – ترجمة وتقديم الدكتور احمد فؤاد الاهواني – مصمم الغلاف محي الدين وهبه – ٣٤٤ صفحة حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك – منشورات دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه (؟) – (لم يذكر اسم المطبعة)

● تطور المجتمعات البشرية – تأليف الفريد صوفي مدير المعهد الوطني للدرسات البشرية استاذ في كوليج دوفرانس – ترجمة فوزي شعبان مجاز في السياسة والاقتصاد – مصمم الغلاف انطوان مشحور – ١٨٠ صفحة – منشورات عويدات ببيروت – مطبعة عيتاني الجديدة ببيروت .

● آفاق العلم – تأليف لين بول – ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة استاذ الطبيعة المساعد بكلية العلوم بجامعة القاهرة – مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم حلمي عبد الرحمن وكيل وزارة التخطيط وعضو المجلس الاعلى للعلوم – مصمم الغلاف محي الدين وهبه – ٢٤٤ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● كل شيء عن الراديو والتلفزيون – تاليف جاك جولد – ترجمة الدكتور محمد صابر سليم الاستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة عين شمس – تقديم حسن جلال العروسي – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٠٤ صفحات – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر وطبع الغلاف في مطابع دار المعارف بمصر.

● كلمة .. ومناسبة – تاليف صدر الدين شرف الدين – ١١٢ صفحة – منشورات دار النهج في صور لبنان – (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نظرية الاسلام الاقتصادية ، الفلسفة والوسائل المعاصرة – تاليف عبد الحميد احمد ابو سليمان بكالوريوس تجارة – ١٢٨ صفحة – منشورات مؤسسة الخانجي بمصر ومكتبة المثني ببغداد – دار مصر للطباعة (؟)

● تجربة عربي في الحزب الشيوعي – تأليف قدري قلعجي – ٢٠٠ صفحة – منشورات دار الكاتب العربي ببيروت – مطبعة الجهاد ببيروت

● وجوه من المغتربين – الجزء الاول – تأليف فاضل سعيد عقل – تقديم فؤاد حداد – ١٩٢ صفحة – مزين بالصور – منشورات البيرق ببيروت – مطابع سميا ببيروت .

● فؤاد حداد – تأليف فاضل سعيد عقل – ٢٠٨ صفحة – مع عدة صور ورسوم – منشورات دار البيرق ببيروت – مطابع سميا ببيروت.

● يا رسول السلام : قصيدة في ذكرى المولد – لفتحي الكواملة – ١٦ صفحة – مطابع دار الايتام الاسلامية الصناعية بالقدس .

● دراسات ادبية : في ادباء وشعراء كربلاء – الجزء الثاني – تأليف غالب الناهي – ١٤٠ صفحة – مطبعة اهل البيت بكربلاء العراق .

● معنى الحياد الايجابي – تأليف الدكتور كلوفيس مقصود – ١٦٠ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت – مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● لهاث الحياة – مجموعة شعرية – ليوسف عزالدين – ١٠٤ صفحة – منشورات مكتبة النهضة ببغداد – مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● ذات ليلة من ليالي الخريف – تأليف مكسيم غوركي – ترجمة منير البعلبكي – ١٦٨ صفحة – منشورات دار العلم للملايين ببيروت – مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٨–١٩٥٩ لوزارة التربية والتعليم في المملكة الاردنية الهاشمية – ٢٩٨ صفحة – حجم كبير – مع رسوم وايضاحات بيانية – باشراف قسم الاحصاء في وزارة التربية والتعليم في عمان – المطبعة الوطنية بعمان .

● Ethan Frome — by Edith Wharton — with an introduction by Mrs. Wharton — 182 pages — Special Student Edition — Published by Charles Scribner's Sons, New York — Printed in U.S.A.

● The Spirit of St. Louis — by Charles A. Lindbergh — 498 pages — Special Student Edition — Published by Charles Scribner's Sons, New York — Printed in U.S.A.

● Al-Imam Ali, The Great Mujahid — Written by several famous authors and prominent international Moslem leaders — 84 pages — Published by Pusaka in Djakarta, Indonesia — Printed in Indonésia.



الموسيقى الاندلسية الكلاسيكية بالمغرب

سأحاول ان اتحدث عن الموسيقى وسيكون الحديث بطبيعة الحال عن الموسيقى الراقية في البلاد ، وهي الموسيقى الكلاسيكية التي تعرف بالموسيقى الاندلسية وذلك لانها الموسيقى التي سايرت الزمان مدة طويلة ولا زالت تسايره وتجد اقبالا وشغفا بها من مختلف الطبقات وتحتل مكانا لائقا بها في النفوس ، وتعد من اروع الموسيقى فى البلاد وتحمل طابع القومية لقدمها وخلودها ، والاحقاب التي قطعتها متخطية كل الحدود ، وغازية سائر العقول ، وراوية الارواح بنغماتها واكبر دليل على خلودها وسطوتها هو ان ابتداء ظهورها بالمغرب كان منذ القرن الثالث عشر الميلادي ونحن في العشرين ومع ذلك لم تبل جدتها ، وكل يعترف لها بالفضل ، ويحاول رجال الفن الذين يقدرون فنها وتاريخها ، ادخال التحسينات عليها والسير بها فيمضمار التقدم والرقي الذي طرأ على سائر الفنون في جميع ارجاء المعمورة ، واذا نجحت المحاولات فان الموسيقى الكلاسيكية الاندلسية بالمغرب ستضم التحسن العالمي الحديث الى التاريخ المجيد القديم .

وقد يتساءل البعض لم تسمى هذه الموسيقى بالاندلسية ،والاندلس هي قطعة هامة في البلاد الاسبانية ولم لا تحمل هذه الموسيقى اسم الموسيقى المغربية ، والحقيقة ان احتفاظها بهذا الاسم راجع للاصل التاريخي الذي انحدرت منه ، فقد عاشت هذه الموسيقى في بلاد الاندلس وانتشرت على يد ناشرها الفنان زرياب وبلغت من السمو والرقي مكانة عظيمة ، وبرع فيهاالمغنون والمغنيات والملحنون والملحنات وقدموا واخروا حتى استوت من كل ناحية ، ودخلت الى البيوتات العالية وقصور الملك وبنيت من اجلها المعاهد ولما تغلب الاسبان على بلاد الاندلس هاجر ابناؤها الى شمالي افريقيا : المغرب والجزائر وتونس وبلغ المهاجرون ما يزيد على نصف المليون ونقلوا معهم حضارة الاندلس وتقاليدها . ومن جملة ذلك موسيقاها ، وقد كانت لها المكانة اذ ذاك في الوسط فاقتبل المغاربة هذا الفن بمزيد الحماس والشوق، وانتشر في سائر الربوع لا فرق في ذلك بين المغرب والجزائر وتونس ولطول الزمن وصروف الدهر ، واختلاف اللهجات انطبعت كل جهة بطابعها الخاص ، ولكن الطابع هو الطابع فان الايقاع الذي هو الاصل لم يتغير ولم يدخل عليه تحويل ، وان كانت الاسماء قد تغيرت فان ذلك انما هو امر شكلي فقط . فان اتفق ان التقى الفنان الاندلسي او الجزائري بالمغربي تفاهم كل واحد منهم مع الاخر تفاهما تاما ، وادرك كل واحد ادراكا تاما الموازين والايقاعات وسبب هذا الانسجام بين الفنين هو ان موسيقاهما منحدرة كلها من اصل واحد ، ولذلك نرى رجال الفن الاندلسي في المغرب يميلون الى الطرب الاندلسي بالجزائر ويهضمون صنعه ، ولسنا بصدد التعمق في هذا البحث، لان الناحية الشرقية م نالمغرب نفسها وان كانت مغربية فهي ممتازة بالطرب الاندلسي الجزائري ومنذ ذلك الحين تداولته اليد المغربية وحافظت عليه ، لحنا وايقاعا وحفظا لانغامه فاحاطته بعنايتها من الاندثار وآوته خير ايواء ، وانزلت هذه الموسيقى مكانة رفيعة ضمنت لها الخلود والبقاء الى تاريخنا هذا ومن اجل ذلك فهي موسيقى كلاسيكية وعوضا عن ان نعطيها هذه التسمية العالمية ، فاننا احتفظنا بتسميتها الاصلية : الموسيقى الاندلسية وسارت هذه التسمية متعارفة فى الاوساط العامة والخاصة ، ولم يستطع اي لون من الالوان الموسيقية الاخرى ان يزاحمها او ان يحل محلها بل كانت الموسيقى الموجودة اذ ذاك فى المغرب كشيء فرعي لا غير امام فخامتها وجزالتها وتفوقها

التركيب في الموسيقى الاندلسية

ان الموسيقى الاندلسية من مزاياها انها لم تكن مرتجلة في وضعها وتركيبها بل كانت آخذة من العناية المكانة اللائقة بها حتى اتت مرصفة ترصيفا دقيقا ، ومركبة تركيبا قويا في سائر ما يقدم منها فهي محصورة حصرا فنيا رائعا في عدد ما يسمى بالنوبات والدربات والايقاعات والالحان الخاصة بها .

والنوبات الموجودة في الطرب الاندلسي كثيرة يوجد في المغرب منها احدى عشرة نوبة هي الاصبهان والحجاز المشرقي ، ورمل الماية والقربية ، والماية ، والاستهلال ، ورصد الذيل والرصد والحجازي الكبير والعشاق ، وعراق العجم ولم تكن النوبات مقتصرة على هذا فحسب بل تشير الكتب التاريخية ورجال الفن الى ان النوبات كانت عشرين نوبة ، ولكن ذلك اندثر بسبب اهمال رجال العلم والادب التعاطي بكثرة فتداولتها بعض الايدي التي لم تقصد منها الا الاحتراف فلم تستطع الاحتفاظ بها . فحفظت ما استطاعت حفظه واهملت الباقي ، ولكن رغم هذا كله ، فان ولوع رجال الادب والعلم به كان يحافظ على عدم ضياع هذا الفن جملة ، ويوجهه التوجيه اللائق به ، وانه يوجد الان فى المغرب من يحفظ هذه النوبات الاحدى عشرة كلها حفظا تاما من غير نقص ولا زيادة وتنقسم كل نوبة الى خمسة اقسام، البسيط ، والقائم ونصف والبطايحي والقدام ، والدرج ، ولكل من هذه الميازين لحنها الخاص بها . فبعد الافتتاحية ، او ما تسمى بالمشايلة التي لا ترتكز على لحن بل يعتمد فيها الفنان على نفسه للدخول على الميزان المطلوب ، وهذه الافتتاحية التي تكون عادة قصيرة ومرتجلة ويكون اداؤها غير مقيد بوزن خاص ، وذلك كالناثر بالنسبة الى الشاعر فالناثر لا يتعلق بوزن ، وذلك ما يفعل موسيقى الطرب الاندلسي عند عزف المشايلة وبعد ذلك يدخل الى الميزان المقصود ، والتركيب فى الميازين الاندلسية يختلف بعضه عن الاخر ، فالاول يكون بطيئا هادئا ، والذي يأتي بعده اخف منه قليلا ، ثم الذي يأتي بعده اسرع ، الى الاخير الذي يكون منن الحركة خفيفا وسريعا ، والى جانب ذلك فان هناك ما يسمى بالتواشي ، والمواول ، والموشحات .

ومن طبيعة هذه ان تكون خفيفة ، ومنشطة ، وفي اثناء القطعة ينشد احد المنشدين ما يسمى بالبيتين ويكون وحده بصوت منفرد ، ويكون هذا الانشاد منبثقا من نفس المقام الموسيقى الذي عزفه الجوق، ثم يردفه الجوق بتغطية من نفس النوبة التي يعزفونها ، وهناك الموال ايضا الذي ينشده شخص منفرد يمتاز بعذوبة الصوت ورقته ، وهو ايضا مشتق من نفس المقامات الاندلسية والحانها العذبة وله طابع خاص به ويعد انشاد البيتين ، والموال من التزويقات والتنميقات الزخرفية فحسب ، وما دمنا فى الحديث عن فن التركيب فى الطرب الاندلسي ، فانه لا بأس هنا من ان نعطي بعض المقارنات بالسانفونيات فان الطرب الاندلسي لا يعتمد على الموضوعية ، بل يعتمد على الالحان في شتى الانواع وكما يستخدم في الناحية الغرامية ، يستعمل في الناحية الدينية وفي الوصف ، وغير ذلك ، فاللحن قوي في الطرب الاندلسي ، ومتى ما تغير الشعر ، اعطي نتائجه واطرب واتصل ، اما السانفونية فانها لا تعتمد الا على الموضوع الذي وضعت من اجله ، ومن ناحية اخرى فالطرب الاندلسي فيه قطع صامتة لا تغنى الا ان اكثره يغنى ، وهذا ما ليس موجودا في السنفونية فهي لا تعتمد الا

على الموسيقى فقط والذي يقوي السنفونيات ، هو التوافق الصوتي (اي الهارموني) وهذا لا يوجد في الطرب الاندلسي ، بل هو يعتمد على اللحن والبراعة الموجودة فيه ، وذلك بدون شك هو سبب خلوده وبقائه ، فلولا القوة اللحنية الموجودة ، والتي ترتكز في اذهان الموسيقى والفنانين والحفاظ لضاع لحنه واندثر ، وخصوصا حينما تتداوله الايدي التي لا تحسن صناعة الكتابة بل تتلقاه عن طريق السمع فحسب ولكن الطابع الذي يمتاز به جعله ياخذ مكانته ويحتل موضعه من نفسية المطرب فبقي خالدا ، ثم ان جودة معانيه وقوة تاثيره اعانا على الحفظ . فاللحن القوي ، والغناء كل منهما عمل على خلق الموسيقى .

ومن ناحية اخرى نرى ان الموسيقى الاندلسية مركبة من السلاليم الكبرى (اي الماجور) الا ما قل منها وذلك ليس بكثير ، فهي تتوافق توافقا تاما مع الموسيقى الغربية ، لان سلاليمها تخلو من ارباع المسافات الموجودة في الطرب العربي عامة والموسيقى الشرقية خاصة. فهي من نوع (الماجور) وهذا ما زادها حيوية وخفة ونشاطا ، فلا يوجد في الطرب الاندلسي ارباع المسافات التي تتمتع بها الموسيقى الشرقية بل جل مقاماتها مرتكزة على انصاف الابعاد . وربما تسالون كيف ان زرياب الذي نقل هذا الطرب الى الاندلس وهو رجل شرقي ومع ذلك خلا الطرب الاندلسي من المميزات الموجودة في الشرق ، فان الجواب على هذه الناحية سهل ، لان العرب في الاندلس قد غيروا هذا الطرب واتقنوه ، وقدموا واخروا ، ووضعوا ما يناسب اذواقهم والبيئة المحيطة بهم وكل شيء في الاندلس قد اخذ طابعه الخاص من شعر وصناعة وعمارة وغير ذلك ، وبطبيعة الحال فان الطرب الاندلسي نفسه ياخذ طابعه الخاص به ، ولهذا فان تركيب الموسيقى الاندلسية قوي في شتى نواحيه حتى في آلاته ، فان صدره رحب للتجديد والتلقيح والتحسين ومن اجل ذلك سهل ادخال عدد من الالات في الطرب الاندلسي ولو كانت هذه الالات من احدث طراز .

تعبير الموسيقى الاندلسية عن المناسبات

ان الموسيقى الاندلسية لم تكن موسيقى ، قيلت في مناسبة خاصة فبقي ذلك اللحن يعبر عن تلك المناسبة الخاصة فقط ولم تكن هذه الموسيقى ضربا قارا من ضروب الغناء لا يعبر عن الظروف المختلفة والمناسبات المتعددة ولم تكن الموسيقى الاندلسية جامدة بحيث اذا مر زمن ، او ذهبت مناسبة بقيت عاجزة عن التعبير واداء ما يقصد منها من تسلية وانبساط او تهليل ، او تبجيل وتعظيم ، او وصف وتشويق ، او تاثير وترهيب وترغيب بل كانت وما تزال الموسيقى الاندلسية معبرا دقيقا عن كل مناسبة من المناسبات ومفصحة كل الافصاح عن سائر الاحساسات والمشاعر ، لا يعجزها وقت من الاوقات او زمان من الازمان ، ولا تنثني عن التعبير بادق المعاني واروعها واعذب الالحان واسماها وتهييج سامعيها والدخول معهم الى جو مكهرب من الحساسية الرقيقة ، والشعور القوي الفياض ، ويرجع ذلك الى لحنها القوي الذي ينقل الاشعار المتعددة المعنى فمتى تغير الشعر ادت الموسيقى اداء تاما ما يقصد منه ، واعطت النتائج المتوخاة ، واضفت على الشعر حلة المناسبة المقصودة ، واظهرت جمال الشعر وفخامته الى حد بعيد ، وقد اختار رجال الفن الاندلسي من الشعر ارقه واعذبه ليعبر عن المناسبات في كل ناحية من النواحي ، ورتبوه كذلك ترتيبا عجيبا فجاءت هذه الموسيقى معبرة عن مناسبات النهار فهناك المناسبات التي لا تصلح الا في الصباح ، والتي لا تصلح الا للمساء واخرى لا تصلح الا في الليل وكلما وافقت الوقت المناسب لها كان تاثيرها اقوى من المناسبات التي قيل فيها الشعر ما ينشد :

في الصباح :

الصباح نشر اعلامه   وبدا لونه شريق
الفجر جرد حسامه   لونه يشبه العقيق

ومما ينشد في الليل :

الليل ليل عجيب   اغر طيف المحيا
قد زار فيه الحبيب   احيا الفؤاد فاحيا

والموسيقى الاندلسية لا تعبر عن هذه المناسبات الزمنية فحسب ولكنها تهدف الى اكثر من ذلك فهي تستعمل في الاستقبالات الخاصة والحفلات الموسمية والدينية والاعياد القومية ، فمن ذلك الاستقبال للعظماء والملوك فقد كان في الاندلس عند ما يزور ملك او رئيس دولة الديار الاندلسية كانت الفرقة الموسيقية تعزف وتغني هذه الابيات اكراما للضيف الكريم :

تحيا بكم كل ارض تنزلون بها
كانكم في بقاع الارض امطار
وتشتهي العين منكم منظرا حسنا
كانكم في عيون الناس ازهار

وتستعمل في المديح الديني وهذا الباب كثير في الطرب الاندلسي ... اذ لا حصر له ، وما من مناسبة من المناسبات الا ونجد الطرب الاندلسي معبرا عنها تعبيرا دقيقا حيا ، ولا تزال قابلة لهذا ، تستعمله لحد الان رائعة في تعبيرها ووصفها للمناسبات .

ولم تقتصر الموسيقى الاندلسية على هذا فحسب بل استخدمت في معالجة الامراض العقلية والعصبية وكانت فرقة خاصة تتوجه كل يوم جمعة من الاسبوع الى مستشفى المجانين بفاس المسمى بسيدي فرج ، حيث يطربون هناك امام مرضى العقول ، وقد اعطت هذه التجربة الموسيقية نتائجها وشفى كثير من المرضى ، وان هذه العملية لم تكن شيئا عرضيا بل هو امر رسمي في الدولة وكانت وزارة الاحباس تقوم به ، حيث رات نتائج الموسيقى واثرها على المرضى وهو من التعبيرات الحيوية الصادقة الموجودة في الطرب الاندلسي ، اذ كل موسيقى تؤثر على الاعصاب والناحية العقلية وترجع بالعقول الى الرشاد والصواب ، هي موسيقى حية لها اعتبارها من رجال العلم والادب ورجال الحكمة والكتب ، وليس من الغريب استعمال اموال الاحباس في هذه الناحية اذ هناك اموال للاحباس مرصودة لما فيه سعادة الانسان دنيا واخرى، فاستعمال اموال الاحباس في الموسيقى يعد تكريما وتعظيما لها ويبرهن عما للموسيقى الاندلسية من اهمية ، وما لها من اثر حميد على عقول المرضى ، وما تكتسبه من رفعة في نفوس ابناء المغرب ، وصرف الاموال في سبيل هذا المشروع يدل دلالة واضحة على تعبير الموسيقى الاندلسية الصادقة فاذا كانت تستعمل في المناسبات الخاصة بالفرح والسرور والنشاط ، فانها تستعمل في المناسبات الدينية ايضا ، ثم انها تستعمل في الظروف العلاجية وفي اصعب العلاجات وهي الناحية العقلية والكل على علم بما وصل اليه استخدام الموسيقى في العلاج من الامراض النفسية على الخصوص .

الشعر والموسيقى

لا يزال لحد الساعة وفي عصرنا الحالي اذا قارنا الناحية الموسيقية بما ينسج فيها من اقوال وجدنا ان هناك توافقا بين الموسيقى والشعر، فالموسيقى العربية في سائر الجهات تعتمد على الشعر لاكمال وزنها وايقاعها ، ولا يستقيم الكلام المنثور مع الموسيقى لانه يتباين مع الوزن والايقاع ، وهذا متوفر في الشعر ، لان الشعر طبيعته لحن من الالحان واغنية طبيعية صدرت من قلب العاطفة ومن الفن ، قبل ان ياخذها الموسيقي الملحن فيرصفها نبرات حلوة رقيقة في المقامات الموسيقية فياتي الشعر الرقيق والموسيقى العذبة ، ويتفق الفن من

سائر وجوهه في الاغنية العربية فيحدث ذلك الانفعال الاخاذ الـــذي يسحر النفوس ويثمل الارواح .

واذا رجعنا الى الموسيقى الاندلسية وقت ازدهارها وجدنا ان الادب انذاك قد بلغ درجة كبيرة من التقـدم والرقي وتعدد الشـعراء فـي الاندلس ، ونظموا في مختلف فنون القـول وضروبه وفي ميادين متعددة من الشعر ، من وصف ومديح وغزل فاستعذبت الموسيقى الاشعـــار وصلحت لها ، وسارت الاشعار في افواه الموسيقيين والملحنين فزهـا الادب وزهت الموسيقى ، واستعذبت النفوس ذلك من شعر وموسيقى، وكملت نهضة الفنين معا ، فتغنى بالشعر كل لسان ، وطرب للموسيقى كـل فؤاد .

ولم تقتصر على الشعر الفصيح ، بل ايضا تناولت الموشحات ، وقد نظم الاندلسيون الشيء الكثير في الموشحات وان كنا نعرف ان هذه الموشحات هي اغاني في الاصل .

وقد هضم الاندلسيون الموشحات هضما بليغا ، وفي ذلك يقـــول ابن خلدون لما شاع التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهـــور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزمـوا فيه اعرابا فاستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا فيه على مناحيهم لهذا العهد فجاء وافيا بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال حسب لغتهم المستعجمة واول من ابدع هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمـــان وان كانت قيلت قبله ، ومن الدخيل في أنواع الشعر العامي بالاضافة الى الزجل المواليا ، والكان والكان ، وهذه كلها زهت في بلاد الاندلس وكانت اهدافها اولا وقبل كل شيء هي الموسيقى واذا كان ابن خلدون المؤرخ العظيم ، والفيلسوف العبقري يغرم بهذا الشعر ويرى فيـــه العجب فكيف بمن دونه مرتبة ، وكيـف اذا امتزجت تلك الاقــــوال بالانغام والموسيقى ..

وهكذا اخذت الموسيقى الاندلسية هذه الاشعار من فصيـــــح ، وموشحات ، وزجل ، ومواليا ، وكان كان وادخلتها الى المقامـــات الموسيقية واسبغت عليها حلة جديدة ، وسكبتها على الارواح فكـانت بردا وسلاما ، وكانت بلسما وشفاء ، وكانت عاطفة وحنانا وكانت سرورا ونعيما ، فعاشت الارواح في ظلها وتمتعت بسحرها ، واحب ذلـــك العالم العبقري ، والاديب المجيد ، والفنان المبدع ، وتشوق اليهـــا الكهل والفتى ، فانتشرت انتشارا سريعا في سائر الاوساط ، ولم يكن لها من منكر او من مبتعد ، فان الكل محب وهاو وغاو فالصوفي القانت يجد في شعرها الامداح والاذكار ، والمقرىء المنتج يجد في شعرهـــا الكمال والاحساس والشعور والعاطفة الحقيقية ، والهيمان يجد الوصف الخلاب والتعبير الفياض والمتسلي يجد فيها نعيم التسلية ، وجمـال الانبساط والحزين يجد فيها الهدوء والاستقرار والتعبير الواقعـــي فانساب الجميع معها واحبها ووافقت طبعه ، فهي تحدث كل الطبـاع ولا اخال من يسمعها ويفهم شعرها الا اثرت فيه نفس الاثر الذي تأثر بها من قبلنا وطرب لذلك ، كما كان يفعل اجدادنا الاقدمون . (التربية الوطنيـة) .

الربــاط — عبد الوهــاب اكومي

اين نحـن مـن الثقـافة

كان من الضروري ان يقف واحد منا ، في اي قطر من اقطارنا العربية ، ممن لهم حق الوقوف والكلام ، ويطرح هذا السؤال الكبير .

وكان من الضروري ان يطرحه في المكان والزمان المعدين له ، ويواجه به اصحاب الامر . ثم ان يكون له الجرأة على الجواب في هذا المكان بالذات وذلك الزمان بعينه ، وفي وجه اصحاب الامر انفسهم لانه يعنيهـــــم باشخاصهم ...

في حفلة افتتاح مؤتمر اللجان الوطنية العربية للتربية والعلم والثقافة المنعقد في بيروت القى الدكتور فؤاد عمون الامين العام لوزارة الخارجية والمغتربين ورئيس المؤتمر خطابا قال فيه من جملة ما قال :

« اجل ، كنا بالامس من قادة الادب والعلم والثقافة . ولكن اين نحن اليوم من الثقافة الشاملة المستأنفة التي تدرك وتلازم المدنية العصرية في وثباتها .. قال بعضهم وما اصدق ما قال : « اننا لا نزال على عتبة الثقافة الحديثة »».

هذه هي الحقيقة . وهي ، طبعا ، جارحة كاخواتها . فليست الثقافة ان نعرف كيف يضرب زيد عمروا ، كلا وليست هي في الحصول على الشهادة الفلانية او الفلانية، ولا في اتقان الكلام بالفرنسية او الانكليزية... انها ابعد من ذلك واقرب !

الثقافة معرفة شاملة وقوة مبدعة . الثقافة مساهمة في الحضـارة تمتعا بها وخلقا لها في آن واحد . لان من يتمتع بالحضارة ولا يساهم في خلقها ليس في النتيجة مستحقا لها ، وهو في الغالب يسيء استعمالها ويشوه جمالها .

واذا كان من دلائل الثقافة عند اهلها هذه الاجرام السماوية التـي اطلقوها في سبيل كشف اسرار الكون ، فمن دلائلها عند اهلها ايضا انهم يعرفون مثلا ان يمشوا في الشارع ، او يقودوا السيارة ، او يديروا الراديو ، او يشموا الزهرة فلا يدوسونها بالأقدام .

اجل ، نحن ما نزال على عتبة الثقافة .

ورحم الله امرءا عرف حده ... انها بداية المعرفة والشرط الاول لاجتياز العتبة ، وبدونه لا تفتح الثقافة بابها لاحد . (الحياة)

((عبــده))



اغسطس ١٩٦٠

٢٥ ـ دعا مجلس الجامعة العربية المنعقد فى شتورا بلبنان الدول الاعضاء الى الكف عن تبادل الحملات والى تعزيز التضامن واحترام استقلال كل دولة وبان تكون الجامعة مرجع الخلافات والبحث فى موضوع تعديل ميثاق الجامعة

ـ قال جون كنيدي المرشح الديمقراطي لرئاسة الولايات المتحدة انه اذا انتخب فانه سيدعو الدول العربية واسرائيل الى مؤتمر ذروة . وان التصريح الثلاثي لعام ١٩٥٠ الخاص بالشرق الاوسط لم يمت وسيعمل به ضد اية دولة فى المنطقة تهاجم جارة لها

ـ تعمل حكومة لومومبا على اخضاع مقاطعة كاساي التي اعلنت استقلالها الذاتي بزعامة كالونجي على غرار مقاطعة كاتانغا . وبمناسبة افتتاح مؤتمر وزراء خارجية دول افريقيا فى ليوبولدفيل قامت مظاهرات تهتف باستقالة لومومبا واطلق الشرطة النار ووقع عدة جرحى

٢٦ ـ اعفي عشرة وزراء من اعضاء الحكومة التركية بناء على اوامر لجنة الوحدة الوطنية

ـ طلبت الحكومة السوفياتية من الملحق بالسفارة الامريكية ونترز مغادرة الاتحاد السوفياتي .

٢٧ ـ عقدت اتفاقية فى موسكو يقدم بموجبها الاتحاد السوفياتي للجمهورية العربية قرضا قدره ٩٠٠ مليون روبل لتمويل عمليات تجهيز سد اسوان

٢٩ ـ انفجرت قنبلة موقوتة فى دار مبنى رئاسة الوزارة الاردنية فى عمان فقتل هزاع المجالي رئيس الوزارة وزهاء الدين الحمود وكيل وزارة الخارجية وانفجرت قنبلة ثانية فى مكتب المدير العام للمطبوعات . وكان عدد ضحايا الانفجارين ١١ قتيلا و ٤٠ جريحا .

ـ الف بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي الاردني الوزارة الجديدة

ـ طلب همرشولد من مبعوثه الخاص الى الاردن بيير سبينللي الموجود حاليا فى جمهورية توغو الافريقية بالعودة حالا الى عمان

ـ استقال الدكتور منو شهراقبال رئيس الوزارة الايرانية لان الشاه اعرب عن عدم ارتياحه للطريقة التي جرت بها الانتخابات النيابية . وقد كلف الدكتور جعفر شريف ايمامي بتأليف الحكومة .

ـ قرر مجلس الشيوخ الكونغولي دعوة قوات الامم المتحدة الى التدخل فى النزاع الداخلي بالكونغو . بينما يطالب لومومبا بالا تتدخل تلك القوات .

ـ انتهت اعمال مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى شتورا . وقرر مجلس الجامعة العربية اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا وانشاء جيش فلسطيني فى الدول العربية المضيفة . كما اتخذ عدة مقررات : عن العلاقات الايرانية الاسرائيلية وقضية موريتانيا والعلاقات العربية الافريقية وغيرها .

ـ انسحب مندوب كوبا من مؤتمر وزراء خارجية الدول الامريكية بعد ان اقر المؤتمر شجب اي تدخل خارجي وخص بالذكر الدول السوفياتية الصينية .

٣٠ ـ انهى الجيش البلجيكي جلاءه عن الكونغو بعرض عسكري .

ـ اختار رئيس وزراء لاوس الامير سوفانا فوما وزارة تسوية وافق عليها الجانبان المتنافسان بعد الازمة التي كادت تؤدي الى اندلاع حرب اهلية .

ـ وافق الاتحاد السوفياتي على تقديم قروض جديدة بقيمة ٥٠٠ مليون روبل لمساعدة الهند في مشروعها الثالث للسنوات الخمس .

٣١ ـ دعا مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الذي ختم اعماله في ليوبولدفيل الى قيام تعاون صريح مخلص بين الامم المتحدة والكونغو .

ـ اعلن البير كالونجي ان قواته استردت باكونغا عاصمة مقاطعة كاساي التي احتلتها قوات لومومبا .

ـ احتجت الدول الغربية الثلاث الى الاتحاد السوفياتي على العقبات التي وضعها نظام حكم المانيا الشرقية في طريق السفر الى برلين .

سبتمبر ١٩٦٠

١ ـ اخذ النواب في ايران بالاستقالة الجماعية تلبية لطلب الشاه لاجراء انتخابات جديدة نزيهة .

ـ سافر اللواء العبدي الحاكم العسكري العام في العراق على رأس وفد عسكري الى موسكو تلبية لدعوة وزارة الدفاع السوفياتية .

ـ توفي الملك حسام الدين علم شاه سلطان ولاية سالانغور وملك اتحاد ولايات مالايو .

ـ احتج الاتحاد السوفياتي الى همرشولد على تسليم قاعدتي كامينا وكاتونا الى القوات الدولية بدلا من حكومة باتريس لومومبا .

ـ افتتحت فى شتورا بلبنان الدورة العادية لمجلس الجامعة العربية واوقفت الجلسة دقيقة واحدة حدادا على الرئيس الاردني هزاع المجالي

ـ وقع اتفاق مغربي فرنسي لتصفية الوجود العسكري الفرنسي في المغرب قبل ٢ مارس ١٩٦١ وتصفية القواعد الجوية والبحرية بين ١٩٦١ و ١٩٦٣

٢ ـ عاد الى بيروت عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة العربية بعد انزار عمان تلبية لطلب الاردن . وقد صرح بان المسؤولين اطلعوه على نتائج تحقيق اللجنة العسكرية في حادث الانفجارين اللذين وقعا في رئاسة الوزارة .

ـ اعتقلت حكومة الكونغو زعيم حزب بونا جان بوليكانجو وفريق من اتباعه بتهمة محاولة اغتيال رئيس الجمهورية جوزف كاسافوبو ورئيس الوزراء لومومبا .

٣ ـ غادر عبد الخالق حسونة بيروت الى القاهرة لاجراء اتصالات مع المسؤولين .

ـ وصل باريس فانفاني رئيس الوزارة الايطالية ووزير الخارجية انطونيو سينيي لاجراء محادثات مع ديغول حول الوحدة السياسية الاوروبية .

ـ دعا سوكارنو المجلس الحربي الاعلى الى الاجتماع للبحث في النزاع بين الجيش والحزب الشيوعي الاندونيسي .

ـ تم تعديل الحكومة التركية التي يرأسها الجنرال غورسيل .

ـ قدم مقر الامم المتحدة احتجاجا الى حكومة الكونغو على المجزرة التي حدثت في باكوانغا عاصمة اقليم المناجم في كاساي حيث قتلت القوات الكونغولية ٧٠ مدنيا افريقيا لجأوا الى احد الاديرة وشوهت جثثهم .

٥ ـ اعلن كاسافوبو انه اقال لومومبا واعضاء حكومته وعين ايلايو رئيس المجلس النيابي رئيسا للوزراء . وانه طلب من الامم المتحدة تامين الحدود والاستقرار .

ـ اعلن لومومبا ان تصريح كاسافوبو هو لاغ وغير وارد وقال ان كاسافوبو لم يعد رئيسا للدولة .

ـ انتخب ليوبولد سنغور اول رئيس لجمهورية السنغال بعد انفصالها عن اتحاد مالي .

ـ عاد من القاهرة الى بيروت عبد الخالق حسونة .

ـ صرح ديغول : ان الجزائر جزائرية

مشروع قيد التحقيق . والادراك الحسن يفرض ان تكون الجزائر متحدة مع فرنسا . ثم نوه بان لا حل للمشكلة عن طريق الامم المتحدة او القتال بل بترك الجزائريين يقررون مصيرهم .

ـ رفعت المانيا الشرقية قيود السفر الى برلين .

٦ ـ اشتد التفاقم في الكونغو بسبب تنازع كاسافوبو ولومومبا زمام الحكم في البلاد فبعد ان اعلن كل من الرئيسين عزل الاخر تدخلت قوات الامم المتحدة واحتلت الاذاعة ومنعت استعمال المطارات الا للقوات الدولية . وقد احتج لومومبا واتهم الامم المتحدة بتجاوز سلطاتها فيما اكدت هي اتخاذ هذه الاجراءات لحفظ الامن .

ـ وصل سيكو توريه رئيس جمهورية غينيا الى موسكو في زيارة رسمية .

ـ اعلن اللواء قاسم انه يجري تدريب اول مفرزة من « جيش التحرير الفلسطيني » على حرب العصابات وحرب الصحراء وحرب الفدائيين .

ـ طلبت الاردن في مذكرة الى وزارة العدل في الاقليم السوري تسليم الاردن المتهمين بحادث تفجير القنبلتين في مبنى رئاسة الوزراء يوم ٢٩ الشهر الماضي .

٧ ـ قال ايزنهاور ان امريكا تاسف لانفراد الاتحاد السوفياتي بتقديم طائرات ومعدات عسكرية اخرى الى الكونغو وان ذلك زاد من خطورة وضع خطر يقتل فيه الافريقيون بعضهم بعضا .

ـ اتخذت الجمعية الوطنية الكونغولية قرارا بابطال اقالة كاسافوبو للومومبا واقالة لومومبا لكاسافوبو . هذا وقد تدفق الجنود الكونغوليون الموالون لكاسافوبو الى ليوبولدفيل واطلقت سراح جان بوليكانجو الذي سجنه لومومبا . وفي الجمعية الوطنية قال لومومبا انني لم اكن ولن اصبح شيوعيا ، لقد تزوج والداي في الكنيسة الكاثوليكية ويدرس اولادي التعليم المسيحي . وكرر حملته على الامم المتحدة وقال انها تعمل على سلب الكونغو استقلاله . واعلن : اننا طلبنا المساعدة من الاتحاد السوفياتي لان طلبنا قوبل بالرفض من الامم المتحدة وامريكا .

ـ توفي الهر ولهلم بيك رئيس جمهورية المانيا الديمقراطية .

٨ ـ اجتمع مجلس الامن بطلب من الاتحاد السوفياتي للنظر في القرار الذي اتخذته منظمة الدول الامريكية ضد الجمهورية الدومينيكية .

ـ منح مجلس الشيوخ الكونغولي تأييده للومومبا ضد كاسافوبو . وقد طالب لومومبا في الجلسة بسحب القوات الدولية من الكونغو فورا والا اضطرت القوات الكونغولية الى محاربتها .

ـ اقترح همرشولد دعوة مجلس الامن للانعقاد بسرعة لدرس الحالة في الكونغو على ضوء التطورات الاخيرة . وقال في تقريره ان النزاعات الداخلية ازدادت خطورة بسبب اعتماد الفرقاء على مساعدة من الخارج وحصولهم عليها .

ـ بمناسبة الذكرى السادسة لتوقيع معاهدة الدفاع عن جنوبي شرقي آسيا في مانيلا ارسل ايزنهاور رسالة للمنظمة اكد فيها التزامات امريكا نحوها .

ـ اعلن نيكسون ان روسيا متفوقة على امريكا في الصواريخ ذات القوة الاندفاعية العالية ولكنها متخلفة وراءها بعيدا في العلوم بشكل عام .

ـ قال خروتشوف ان لدى روسيا معلومات تفيد ان دول حلف شمال الاطلسي تعتزم القيام « باستفزاز جوي جديد » فوق البحر الاسود ولكن القوات السوفياتية مستعدة لاسقاط تلك الطائرة .

٩ ـ وافق مجلس الامن على مشروع يدعو مجلس الامن الى تطبيق القرارات التي تم اتخاذها في مؤتمر سان جوزيه بحق جمهورية الدومنيك .

ـ منح البنك الدولي اسرائيل قرضا مقداره ٢٧ مليون ونصف المليون دولار للمساعدة في بناء ميناء في بلدة اسدود على شاطىء البحر الابيض المتوسط . وكانت جامعة الدول العربية قد عارضت بعنف هذا القرض .

ـ اعلنت كاتانغا ان قوات الغزو التابعة للومومبا الزاحفة على كونغولو بعد اجتيازها نهر لويكا توقفت بعد ان اصطدمت بمقاومة شديدة .

ـ اصدر بوليس الحدود في برلين الشرقية جوازات مرور يومية للالمان الغربيين الراغبين في دخول برلين الشرقية . وقد قررت الدول الغربية اتخاذ اجراءات مضادة .

١٠ ـ قرر مجلس الامن تاجيل مناقشة تقرير همرشولد عن الكونغو لكي يفسح المجال امام وفد من الكونغو للوصول الى نيويورك وحضور المناقشات .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان قيادة الجيش الكونغولي التابعة لكاسافوبو اصدرت اوامر الى قواتها بوقف القتال في جميع انحاء الكونغو .

ـ طلبت امريكا ان يقيم خروتشوف الذي ابحر الى نيويورك امس على رأس وفد سوفياتي لحضور مناقشات الجمعية العامة ، في اقرب مكان لمقر الامم المتحدة اثناء زيارته والا يخرج خارج حدود جزيرة مانهاتن .

ـ رفض مجلس الامن اقتراحا سوفياتيا يدعو المجلس الى الاجتماع في مدينة ليوبولدفيل لكي يستطيع الحصول على تقديرات فورية للوضع في الكونغو .

١٢ ـ تضاربت الانباء عن الحالة في الكونغو . اذيعت انباء عن اعتقال لومومبا والافراج عنه . الغموض والفوضى والاضطراب تسيطر على البلاد . قررت الجمهورية العربية سحب قواتها من الكونغو لخلافها مع قيادة القوات الدولية .

ـ في تقريره السنوي الى هيئة الامم حذر همرشولد من نزاع عالمي بدأت طلائعه تظهر في افريقيا .

ـ دعا ملك لاوس الى عقد مؤتمر للزعماء المتخاصمين لمحاولة تفادي نشوب حرب اهلية في المملكة .

ـ اعلنت حكومة فنزويلا انه تم احباط مؤامرة عسكرية ضد نظام حكم رئيس الجمهورية رومولو بيتانكور .

١٣ ـ قدم الاتحاد السوفياتي احتجاجا الى امريكا على القيود التي فرضت على خروتشوف اثناء حضوره اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة .

ـ رفعت الامم المتحدة الحظر عن المطارات والاذاعة في الكونغو .

ـ فرض سوكارنو حظرا موقتا على النشاط السياسي في اندونيسيا .

ـ منح البرلمان في الكونغو حكومة لومومبا مطاق الصلاحيات. هذا بينما اصدر كاسافوبو مذكرة لاعتقال لومومبا .

١٤ ـ اعلن قائد الجيش الكونغولي الكولونيل موبوتو ان الجيش سيتولى زمام الامور في البلاد وقال انه كف ايدي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء الى ان تحل ازمة الكونغو . وقد عقد موبوتو مؤتمرا صحفيا اعلن فيه خبر الانقلاب .

ـ رفض مجلس الامن الاستماع الى المندوبين الذين ارسلهم لومومبا .

ـ رفضت امريكا الاحتجاج الروسي حول تحديد اقامة خروشوف في نيويورك .

ـ اختتم مؤتمر النفط المنعقد في بغداد جلساته واعلن انشاء منظمة للدول المصدرة للنفط الخام لتنسيق وتوحيد سياسات هذه الدول في انتاج النفط .

١٥ ـ لجأ لومومبا الى قوات الامم المتحدة لحمايته ، وقد حاول الجنود الكونغوليون قتله ، واذيع انه في عهدة قوات غانا . وقد اتهم الجنرال موبوتو الاتحاد السوفياتي بالتدخل في شؤون البلاد لاثارة حرب اهلية وامر باخراج جميع الموفدين الشيوعيين .